عرابي ورفاقه في جنة آدم

١٨٨٣ — ١٩٠١

(دراسة وثائقية)

دكتورة

لطيفة محمد سالم

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب — بنها



الناشر
مكتبة الانجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

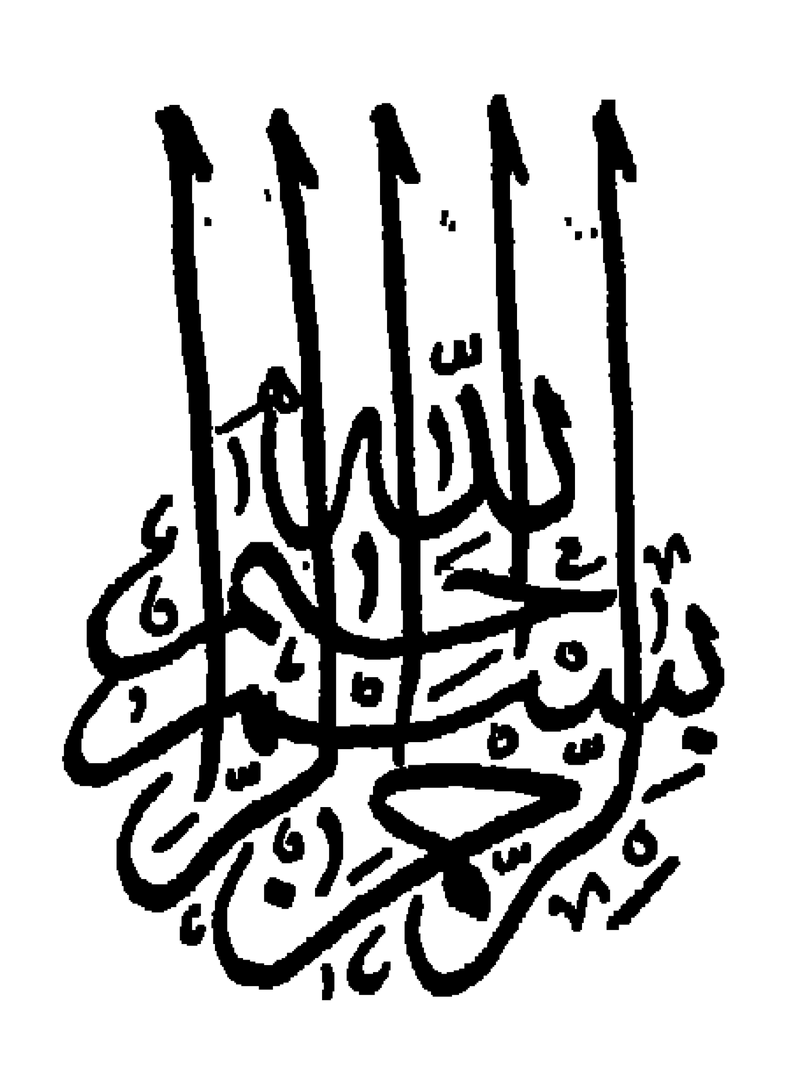
عرابي ورفاقه في جنة آدم

١٨٨٣ – ١٩٠١م

(دراسة وثائقية)

دكتورة
لطيفة محمد سالم
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب – بنها

الناشر
مكتبة الانجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد – القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

فى عام ١٩٨١ احتفل بالعيد المئوى للثورة العرابية ، فصدر مؤلفى عن « القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية » ، وأعيد طبع بعض المؤلفات الخاصة بالثورة والتى سجلت أحداثها ، وأقيمت ندوة نظمتها جامعة عين شمس مع المجلس الأعلى للثقافة ألقيت فيها بحوث تغطى جميع جوانب الثورة واشترك فيها باحثون من داخل مصر وخارجها ، كما تولت أجهزة الاعلام مهمتها تجاه هذه المناسبة • وفى وسط هذا المناخ عرض على بساط البحث أن أحدا لم يتناول حياة عرابى ورفاقه — محمود فهمى ، يعقوب سامى ، طلبة عصمت ، عبد العال حلمى ، محمود سامى ، على فهمى — فى المنفى ، فلم تصدر عنها أية دراسة أكاديمية ، وانما هناك بعض المعلومات التى تناثرت هنا وهناك وتحتاج الى تحقيق وتمحيص وتدقيق وتوثيق ، ومن ثم لاح بخاطرى أن أتولى هذه المهمة ، خاصة بعد أن أيقنت ما للدراسة من أهمية وكيف أن المكتبة التاريخية تفتقر اليها ، ووضعت ذلك فى الاعتبار ، لكنى لم أنفذه لتوه •

وشاءت الظروف أن أحصل على مهمة علمية لانجلترا ، وأثناء بحثى فى فهارس وثائق وزارة الخارجية البريطانية فى موضوعات أخرى تتعلق ببعض مؤلفاتى اذ أجد نفسى أمام مجلدات تحمل عنوان : « المنفيون المصريون فى سيلان ، عرابى ورفاقه » ، Egyptian Exiles in Ceylon, Arabi & Companions ... ، وعلى الفور بدأت بالعمل فيها حيث مثلت صلب الدراسة ، هذا بالاضافة الى بعض الوثائق التى عثرت عليها متفرقة فى ثنايا مجلدات أخرى ، واستكمالا للخط المتبع ، أجريت البحث فى الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة ، كما تتبعت

الخطابات من مصادرها المختلفة ، وعايشت المذكرات ، وأطلعت على الدوريات ، وذلك حتى تتضح الرؤية من جميع جوانبها لتلك الدراسة الوثائقية التى حركت دوافعى اليها قيمتها والحاجة اليها ، ومن هنا جاءت أهميتها وخرجت الى حيز الوجود لتحتل المكان الذى ينتظرها •

وتناولت الدراسة أربعة فصول تشابكت وتعانقت لتعكس الواقع الذى عاشه المنفيون غرباء عن وطنهم ، بعيدا عن أهلهم ، فهى تلتقط الخيوط من حيث انتهى المؤرخون لتنسج بها صورة دقيقة أبرزت فيها المعالم الرئيسية ، فى الوقت الذى لمست فيه الدقائق التى ربما تغيب عن العين • وتتبع الفصل الأول « الطريق الى المنفى » خطا عرابى ورفاقه صوب هذا الطريق ، والاتجاهات المصرية والبريطانية نحو العقوبة وكيف تحول مجراها من الاعدام الى النفى ، وتعدد الآراء حول مكانه الى أن رسا المطاف على جزيرة سيلان التى هى معروفة أيضا بسرنديب وجنة آدم — حاليا سرى لانكا — والاعداد للسفر والعقبات التى صادفته والتعليمات البريطانية للجزيرة ، ورحيل المنفيين عن مصر ووصولهم الى كولومبو واستقبالهم والفترة الأولى لاقامتهم • وتضمن الفصل الثانى « العلاقة مع بريطانيا » سياسة الحذر التى انتهجتها بريطانيا حيث مضت العيون تلاحقهم والتحركات تحسب عليهم والتحكم يعوقهم ، والنظام الذى خضعت له مراسلاتهم ، وانكسار سياسة العزلة عن طريق المراسلات واللقاءات ، والصلات بالشخصيات البريطانية سواء المسئولين أو غيرهم بهدف الحصول على المساعدة للعفو عنهم واطلاق سراحهم وعودتهم لمصر ، وتلك المجهودات التى قامت بها هذه الشخصيات •

ووضح الفصل الثالث « الحياة فى جنة آدم » حالة المنفيين المالية وحاجتهم وفاقتهم وشكاواهم وموقف لندن ، ورغباتهم الشخصية بشأن احضار ذويهم ومعاكساتها ، ونتيجة الظروف الصعبة على علاقاتهم واتساع دائرة الخلاف بينهم ، وتوسلاتهم للخروج من الجنة

الى مكان آخر يتفق مع صحتهم أو عودتهم لوطنهم بعد تمكن الأمراض منهم ، ومعارضـــة الحكومة المصرية وتشددها وتعنتها واتجاه السياسة البريطانية ، واستمرار المساعى وتكثيفها خاصة بعد تساقط عبد العال حلمى ومحمود فهمى ، والتحركات فى لندن والقاهرة • ويبين الفصـــل الرابع « الخلاص » مراحل نهاية الطريق ، وعودة طلبة عصـــمت لمصر لانحدار صحته كحالة اضطرارية ، وتدهور صحة باقى المنفيين ، ووفاة يعقوب سامى ، والسماح لمحمود سامى بالرجوع الى وطنه نتيجة لما أصابه ، ومواصلة المجهودات من أجل العودة الأخيرة لعرابى وعــلى فهمى والتى نجحت لتدخل ولى عهد بريطانيا ، ووداع الجزيرة لعرابى وما وجده من عواطف جياشة تجاهه نظرا لاعتبارات متعددة ، ووطء أقدامه أرض مصر والملابسات التى ارتبطت بها • وتنتهى الدراســـــة بالخاتمة حيث تسجل النتائج التى توصلت اليها ، والأمل معقود على أن تحقق الهدف الذى وضعت من أجله •

والله ولى التوفيق

بنها فى ١٦ ديسمبر ١٩٨٦ •

د• لطيفة محمد ســالم

الفصـــل الأول

الطريق الى المنفى

يمثل الطريق الذى اجتازه عرابى ورفاقه عقب الانكسار مرحلة بالغة الصعوبة ، واجهوا فيها الشقاء والعذاب والمعاناة حتى استقر بهم المقام فى منفاهم الذى أختير لهم ، وكان عليهم أن يؤمنوا بقدرهم ويستسلموا له بعد أن غلبوا على أمرهم ومنوا بالهزيمة .

لقد تكاتفت القوى المضادة للثورة العرابية على اجهاضها ، ونجحت فى تنفيذ مخططها ، وأصبح مصير القادة الثوار فى يدها ، وكان لابد من التوافق فى الآراء بينها . وشكل الجانب المصرى الذى يضم الخديو ومعاونيه صورة واضحة ارتسم عليها الحقد والضغينة والرغبة فى الانتقام بأقصى درجاته ، وصدر الأمر الخديوى بتأليف لجان التحقيق ، وتم استجواب عرابى ورفاقه أمامها ، الذين ألبسوا تهمة العصيان ، ودخل تحته التعدى على الخديوية ، وأنشئت المحكمة العسكرية حيث حولت اليها قضايا المتهمين ، وكانت رغبة المسئولين ملحة فى انزال أقصى العقوبة بهؤلاء الثوار .

أما الجانب البريطانى فقد تخلله أكثر من اتجاه ، لكنه انصب فى النهاية داخل تيار واحد يتفق مع المصلحة ، ففى البداية مثل جلادستون Gladstone رئيس الوزراء ووزير خارجيته وجهة النظر الرامية الى اعدام عرابى عن طريق الخديو بناء على محاكمة شكلية عن الأخطاء التى ارتكبت على مدار الأشهر الستة الأخيرة [1] . وكذلك اعتمادا على أن عصيان سلطة الخديوى خيانة كبرى جزاؤها الموت العاجل ، ووجد هذا الاتجاه بعض التأييد من الصحافة البريطانية ، لكنه سرعان ما تراجع أمام اتجاه آخر نبع من المعارضة فى البرلمان ، وأسهم فيها حزب الأحرار ، كما وجه صحافته للدفاع عن عرابى واعتباره من أبطال الحرية ، هذا بالاضافة الى أن رؤية الرأى العام البريطانى للثورة وزعيمها جعلته يطالب بمحاكمة عادلة ، وأخيرا تلك

التقارير التى توافدت على لندن من درة التاج البريطانى وأشارت الى التفاعل الاســلامى تجــاه المحاكمة منوهة الى ضرورة قياس الأبعاد وانعكاساتها على هذه المنطقة (٢) • كل ذلك جعل محاكمة قادة الثورة تغير مسارها • والواقع أن الحكومة البريطانية كان لابد لها من سند تتكىء عليه لتبرر احتلالها لمصر ، ومن ثم تطلب الأمر حصولها بأية وســيلة على الاعتراف من هؤلاء القادة بالعصيان •

وبطبيعة الحال انزوى اتجاه الخديوى ومؤيدوه جانبا أمام الاتجاه البريطانى ، وفى ذلك الوقت كثف بلنت Blunt نشاطه وحمل عــلى عاتقه مهمة الدفاع عن القادة الثوار ، فكلف المحامين برودلى Broadley ونابيير Napier بالســفر الى مصر لتولى المهمة ، وتحمل النفقات ، فدفع جزءا وجمع جزءا آخر عن طريق اكتتاب بعض الانجليز (٣) • وفى اطار السياسة البريطانية يغير برودلى من خطة دفاعه التى كان قــد رسمها على أن عرابى دخل الحرب بموافقة الخديو والسلطان ، وأنه من الوجهة القانونية لم يكن عاصيا ، أما من الوجهة الأدبية فان اخفــاقه وحده هــو الذى يعطيه تلك التســمية ، فتبدل هذا لارتباط الحكومة البريطانية بعصيان حقيقى ، فاذا اعترف به صراحة لا يهمها شىء بعــد ذلك ، وعليه زال الخطر الذى كان يهدد عرابى ورفاقه وصــارت القضية صورية بحته •

ودارت المراســلات بين بلنت وبرودلى وانحصرت فى نوعيــة العقوبة التى ســيقع عرابى تحت طائلتها ، ويقترح بلنت تدخل دفرن Dufferin (٤) ، للحصول على موافقة زعيم الثورة لنفيه الى جــزر أدامان Adaman — تقع فى خليج البنغال بالهند — أو فى أى جزء من الامبراطورية البريطانية ، وأن يعامل على أنه مســجون سياسى وتستعمل معه الرأفة ، وأن يبذل الجهد فى تضييق معاناته ، ويصــر بلنت على اقصاء سلطة الخديوى والوقوف أمامه عند مجادلته فى اصدار

مرسوم النفى ، ويعارض أن يكون له أو للسلطان حق تحديد مكــان النفى ، كما يرفض اســتمرار عرابى فى السجن [٥] • ويعود نيبين ضرورة اختيار منفى محترم لا معتقل ، ويعدد بعض الأماكن مثل عدن ومالطة وقبرص [٦] •

ويأتى رد برودلى على بلنت يعلمه فيه أنه استلم توكيلا كتابيا من عرابى يعطيه حق التصرف مع دفرن ، وأن الأخير اقترح أن يتظلم عرابى من كونه مذنبا ، ويشير المحامى الى جزر أزورس Azores — تقع غرب أسبانيا فى المحيط الأطلنطى — ويطلب منـــه التفاهم مـــع الخارجية البريطانية على اعتبار أنها مكان مناسب للنفى [٧] • ثم يعود وينقل له وجهة نظره بشأن الاتصال بشخصية دلاور De La Warr — أحد أعضاء مجلس اللوردات وصاحب ميول طيبة تجاه العرب — والتفاوض معـــه على تحديد مكان النفى ، ويعرض عليه جزر فيجى Fiji — تقـــع شمال استراليا بالمحيط الهندى — كمكان آخر للنفى [٨] • وبالفعل يجرى بلنت مشاورته مع دلاور ، ويوسع اتصالاته ويتباحث مع تشـــنرى Chenery — محرر صـــحيفة التايمز — ويبعث الى برودلى ببرقيـــة ليبلغه بمعارضة الجزر المقترحة والاصرار على بلد اسلامى ليقصـــده المنفيون [٩] •

وفى تلك الأثناء تعددت لقاءات برودلى مع عرابى ورفاقه ، الذين انغرس فى داخلهم الاحســـاس بأن مخالب أعـــدائهم تقتـــرب منهم لتنهشهم وتودى بحياتهم ، وأن اليد المنقذة لهم من مصيرهم المحتـــوم الذى ينتظرهم تتمثل فى بريطانيا ، وأمر طبيعى أن الهزيمة والانكسار يتركان أسوأ البصمات على الثوار ، وغالبا ما يتحولون عن مســـــارهم ومبادئهم ، خاصـــة وأن شعور الخوف من حبل المشنقة طغى عليهم ، ومن ثم تغيرت رؤيتهم لدولة الاحتلال ووجدوا فيها طوق النجاة • ويكتب عرابى لبلنت ليعبر عن رغبته فى أن يعيش حرا مع أطفاله فى دمشق بعيدا عن الحياة السياسية ، وفى حالة رفض الســـلطان أو المسلمين

بالشـــام ، فانه يفضـــل الاقامة فى لندن « بين اخواننا الذين يرعون حقوق الانسان أعيش رجلا حرا فى أرض الحرية دون أن أكون متحفظا على أو تحت الرقابة » ويشير الى رفاقه الذين ضـــحوا بأنفســـهم فى ســـبيل حب بلادهم ، وأنهم يريدون أن يعيشـــوا هم الآخرون أحرارا ، ويقســـم بشرفه بألا يتدخل فى الأمور السياسية عندما يكون فى بلد بعيد عن بلده « حتى يأتى الله أمرا كان مفعولا » (١٠) • ولم تكن لتتحقق رغبة عرابى ، وحتى عندما مال فى النهاية الى الكاب — رأس الرجاء الصالح — رفض دفرن الذى اعتمد على رأيه فى اختيار المكان ، ورغم ذلك فقد بعث بلنت ببرقية الى برودلى يطرح من جـــديد بعض الأماكن التى تمثلت فى جبل طارق وجزيرة جيرنزى Guernesy — احدى الجزر البريطانية فى بحر المانش — وطلب منه التشاور مع عرابى بشأنها (١١) •

واستكمالا للشكل أصدرت المحكمة العســـكرية حكمها بالقصاص فى ٣ ديسمبر ١٨٨٢ على عرابى ورفاقه بعد أن وجهت لهم تهمة العصيان وبعد اعترافهم بالخيانة ، وذلك بناء على المادة ٩٦ من القانون العسكرى العثمانى والمادة ٩ من قانون الجنايات • واستتبع الحكم صدور الأمر العالى الخديوى مساء نفس اليوم ، وبمقتضاه حل حكم النفى المؤبد على عرابى من مصر وملحقاتها مكان حكم الاعدام ، وان يبطل هـــذا العفو ويسترجع الحكم الأصلى فى حالة عودته الى أرض الوطن ، وصدر نفس العفو على رفاق عرابى تباعا (١٢) • وجرد المحكوم عليهم من الرتب والنياشين والألقاب ، ومن الطريف أنه صدر الأمر باقصائهم من الجيش الذى لم يكن له وجود بعد حله عقب دخول الجيش البريطانى القاهرة ، وصودرت أملاكهم التى بلغت مساحات كبيرة من الأراضى ، وشـــكلت فيها ممتلكات عرابى ومحمود سامى الركيزة الأساسية ، وأشهر بيعهـــا حيث خصصت أثمانها لســـداد التعويضات الخاصة بحوادث الحقبـــة الأخيرة ، وكذلك ممتلكاتهم من المنازل والحلى ، وحرم على المحـــاكم

الشرعية أن تسمع أو تحكم فيما رفع أو يرفع اليها من الدعاوى فى شأن تلك الأملاك ، ووقع عليهم الحرمان من الحقوق المدنية والميراث [١٣].

وقبل عرابى ورفاقه الأمر الواقع ، وأظهروا ترحيبهم بالحكم الصادر عليهم وامتثالهم له ، ولم يتباطأوا فى تسليم دفرن تعهدهم ؛ فقدم كل واحد منهم ورقته التى تعهد فيها بصفته رجلا عسكريا أن يقيم فى المحل الذى تعينه الحكومة ، وأعطى كلمة شرف بذلك ، ثم اشترك الجميع فى تعهد جماعى ، ولم ينس أحد منهم أن يوجه شكره الى المبعوث البريطانى [١٤] . ويصور برودلى انطباعاتهم ، ويسجل كلماتهم التى عبرت عن الأمل فى مصر والثناء على بلنت والثقة فى بريطانيا [١٥] . وبعد مزيد من المباحثات والمناقشات والمجادلات الطويلة ، تم الاتفاق واستقر الرأى البريطانى على تحديد مكان النفى حيث وقع الاختيار على جزيرة سيلان Ceylon [١٦] ، اذ جمعت المواصفات المطلوبة خاصة تلك المكانة التى تحتلها فى قلوب المسلمين ، فهى الأرض التى وطأت عليها قدم آدم فور خروجه من الجنة . وحمل برودلى أطلسا صغيرا وصحب معه زميله بيمان Beaman وذهبا الى السجن لتبليغ عرابى ورفاقه بالنبأ ، ويذكر برودلى أن عرابى استقبله بابتسامه ، واعتبر ذلك شرفا كبيرا ، وراح يشيد بتلك الجزيرة باعتبارها جنة آدم [١٧] .

وخضعت الحكومة المصرية للتوجيهات البريطانية ، واستقال مصطفى رياض ناظر الداخلية احتجاجا على الرأفة بالقادة الثوار ، وتولى منصبه اسماعيل أيوب الذى أبلغ رغبة الحكومة لبرودلى فى تفرقة المحكوم عليهم بالنفى فى أكثر من مكان ، واقترح وضع أربعة فى سيلان وثلاثة فى هونج كونج Hong Kong [١٨] . والواقع أن الخارجية البريطانية لم تكن تعتبر سيلان مقر الاقامة النهائية ، بمعنى أنها وضعت فى الاعتبار امكان تغيير المكان بعد مرور بعض من الوقت ، هذا بالاضافة الى

أنها حرصت على التعرف على وجهة نظر الحكومة المصرية عن طريق دفرن ، وعندما علمت بها لم تعارض التقسيم المقترح [١٩] • أيضـا وكلت للمبعوث البريطانى دراسـة الموقف والتصرف وفقا للظروف ، وأبلغت ذلك لوزارة المستعمرات [٢٠] • ولكن لعب برودلى دوره فى هذا الصدد وبين أن مثل هذا العمل سيخلق الصعوبات ، وعارض بشدة التنفيذ ، وبذل المجهودات ، وبعد مفاوضات أحبط المسعى ، واستبعدت تلك المسألة ، ومما يذكر أن أصحاب الشأن لم يصل الى أسماعهم ما كان يخطط لهم [٢١] • وقد كان الحرص واضحا على عدم الرغبة فى تجميعهم حتى أثناء محاكماتهم •

وشـكلت مسألة المرافقين للمنفيين صعوبة ، وبالرغم من أن الخارجية البريطانية أشارت لوزارة المستعمرات بأنها ستكون صاحبة القرار فى هذا الشأن ، الا أنها بعثت الى دفرن تسأله عن عدد الذكور والاناث ومدة البقاء المقررة لهم من الحكومة المصرية [٢٢] • وأسـرع برودلى الى السجن والتقى بعرابى ورفاقه وبين لهم أن الوقت قصير ولابد من السرعة فى تجهيز القوائم الخاصة بالأشخاص الذين يقترحون اصطحابهم معهم ، وحمل رغبتهم الى ناظر الداخلية ، فاعترض على العدد وطلب اختصاره بحيث لا يصطحب أى منهم معه أكثر من ذكر وأنثى كخدم ، جاء ذلك بناء على توجيهات دفرن الذى دهش عندما علم أن العدد وصـل الى ١٣٠ شخصا ، وقدر ما يمكن أن تتحمله الحـكومة المصرية من تكاليف السفر حيث يتطلب الأمر باخرتين ، ورأى الاكتفاء بالأقرباء الضروريين مثل الزوجـات والأبناء والأخـوات وتقليل عدد الخدم [٢٣] • ومن ثم عاد برودلى بقوائم جديدة وناشد اسماعيل أيوب فيما يختص بالأغـوات [٢٤] • وتمت الموافقة وكتب دفرن الى جرانفل Granville وزير الخارجية مبينا التسهيلات التى منحت للمنفيين فى هذا الشأن [٢٥] • وصحب معظمهم أولاده وحريمه ما عدا محمود سامى الذى لم يرافقه سوى ثلاثة من خدمه ، حيث رفضت زوجته السـفر

معه [٢٦] • وأبلغ المنفيون بأن من يتخلف من المرافقين لن تتولى الحكومة المصرية تسفيره على نفقتها وانما يكون على حسابه ، واستثنى عرابى من هذا القرار اذ كانت الظروف المرضية لزوجته لا تسمح لها بالسفر حين حل ، وأذن لها باللحاق به وقتما تشاء [٢٧] •

وسمح لعرابى ورفاقه ببيع خيولهم وعرباتهم ، وتراوحت قيمتها بين ٧٠٠ — ٨٠٠ جنيه ، كما باعوا بعض الممتلكات الأخرى فى حدود نفس المبلغ ، وأذن لهم بنقل بعض المفروشات والأثاث ، ومما يذكر أنه لم يتخذ أى قرار بصدد حرمان زوجات المنفيين من متعلقاتهم ، ومع ذلك فقد تعرضت الحكومة لجزء من ممتلكات بعضهن ، ويسجل دفرن للندن أنه أسدى النصح للحكومة المصرية أن تبدى التسامح الذى تتطلبه الانسانية تجاه المذنبين ، وألا تتخذ ضـدهم اجراءات تشعرهم بالحسرة والغضـب ، وأنه سـأل محمد شريف رئيس النظار عن السـبب فى حرمانهم من ساعاتهم ، وعليه أصدر أمره بردها اليهم [٢٨] • ومما لا شك فيه أن النصائح وضعت — الى حد كبير — فى الاعتبار ، ولم تقـدم الحكومة على أية اجراءات تعسفية ضدهم حتى غادروا البلاد •

ورغب المنفيون فى السفر جماعة لا فرادى ، ورأى البعض منهم الكتابة للحكومة عن طريق برودلى لابداء هذه الرغبة على أساس أن ذلك يمثل سعادتهم وراحتهم ، كما سجلوا شكرهم للخديو ، وأشادوا باتجاهه الطيب نحوهم ، وبأنهم لن ينسـوا معروفة أبد الدهر وسيصـلون من أجل رفاهيته ، وختم على الخطاب اثنان منهم ، وعندما عرض عـلى عرابى رفض التوقيع وقال انه يفضل أن يقطع اربا ، وصرح بأن توفيق غير صالح ليكون حاكما على المصريين ، وأمسـك بالقلم وكتب خطابا وقع عليه الجميع ورفع الى برودلى ، وطلب فيه تبليغ الحكومة باتمام الوعد الذى بينهم بالسفر جميعا مع مرافقيهم على نفس الباخرة الى المحل المعين لاقامتهم ، وحمل الخطاب الشكر لها على ما أجرته وما ستجريه

لراحتهم فى السفر [٢٩] . واستقر الرأى على أن يبحر المنفيون ومن يصحبهم على الباخرة ماريوتيس Mareotis الانجليزية لتقلهم الى كولومبو ، ويذكر دفرن لوزير الخارجية البريطانية أنه سيكون هناك ضابط انجليزى فى خدمتهم [٣٠] .

وراحت لندن تعد العدة بشأن اقامة المنفيين ، وفى البداية عرضت الخارجية البريطانية على وزارة المستعمرات اقتراح نزولهم فى الفندق الشرقى الجديد مؤقتا ، ثم وكل الأمر لدربى Derby وزير المستعمرات ليتصل بحكومة سيلان لتدبير الأماكن اللازمة لهم [٣١] . وفى نفس الوقت صدرت التعليمات الخاصة بالتعامل معهم ، فأبلغت الخارجية البريطانية وزارة المستعمرات العمل على حسن استقبالهم وتوفير سبل راحتهم ، والسماح لهم باختيار مساكنهم وعدم تقييد حركتهم ، وأن لا تكون لادارة المستعمرة سلطة قانونية عليهم أوسع من التى تطبقها على رعاياها ، ثم تطلب الخارجية البريطانية الاتصال بدفرن للحصول على كافة المعلومات الخاصة بالمرافقين والمسموح لهم به أثناء اقامتهم [٣٢] . وتبعث لندن الى لونجدن Longden حاكم سيلان فى هذا الشأن ، وتعلمه أن عرابى ورفاقه لا يعتبرون معتقلين — أى تحت الحجز — ولكن فى الوقت نفسه تطلب اخطارها عند رحيل أى منهم من الجزيرة أو عند مخالفة أى منهم لتعهداته ، وأن يختار ضابط على درجة عالية من الذكاء للاشراف على الحرس المعين لخدمتهم ، وتراقب تحركاتهم مع التعرف جيدا على كل من يتصل بهم من مسلمى سيلان أو المتعاطفين معهم عقب وصولهم،وأنه نظرا لقرب سيلان للهند ، فيلاحظ ما اذا كان هناك من يتصل منها بالمنفيين أو يزورهم أو تكون له علاقة بهم من أى نوع ، وأخيرا تبلغه بأن جرانفل يرى وضع رقابة على مراسلاتهم وخاصة المباشرة لمصر ، وتطلب موافاتها بمدى تنفيذ وتحقيق تلك التعليمات عقب استقرارهم [٣٣] .

وتم الاتفاق بين دربى وجرانفل على أن يترك لحكومة سيلان اتخاذ

ما تراه بخصوص تعيين خدمة وحرس للمنفيين ، كذلك أعطى للحاكم السلطة التامة للتصرف حتى فى توجيه الباخرة المقلة للمنفيين للرسو فى مكان آخر غير كولومبو اذا رأى فى ذلك مصلحة ، وزود ربان الباخرة بالتعليمات لتنفيذ أوامر الحاكم فى هذا الخصوص (٣٤) • وعادت لندن لتؤكد على لونجدن العمل على سلامة المنفيين والعناية بصحتهم ، وتلبية طلباتهم ، وعدم الاقدام على أى اجراءات تشير الى التدخل فى النواحى الاجتماعية ، أو معاملتهم رسميا ، مبينة أنهم سيقيمون فى سيلان وفقا لكلمة الشرف التى تعهدوا بها ، ولن يغادروا الجزيرة دون الحصول على تصريح مسبق من حكومة جلالة الملك ، وفى حالة رغبتهم فى الرحيل لا تستعمل معهم القوة وانما يبرق للجهات المسئولة ، وتستبعد لندن ذلك مصرحة بأن عليهم الوفاء بعهدهم ، وتعلم الحاكم بأن الحكومة المصرية قررت لكل من المنفيين ثلاثين جنيها مصروفا شهريا ، وأنها مستعدة لزيادة هذا المبلغ بناء على تقديره عندما يرى أنه لا يفى بحاجتهم وراحتهم ، وتطلب الافادة عن جميع المصاريف التى تصرف عليهم لاستردادها من القاهرة ، وأخيرا تبين أنه لم يتخذ قرار نهائى بأن الاقامة فى سيلان دائمة ، ولكنها مؤقتة ، وقد تعدل لجهة أخرى وفقا لرغبة المنفيين (٣٥) • وكان واضحا اهتمام الخارجية البريطانية براحة المنفيين ، وتعددت خطاباتها لوزارة المستعمرات فى هذا الشأن (٣٦) •

وفى القاهرة مضت الاستعدادات الأخيرة للسفر ، ونقل المسجونون من الدائرة السنية — تحت حراسة البوليس — الى ثكنات قصر النيل فى ٢٥ ديسمبر ١٨٨٢ حيث تلى عليهم القرار الخديوى ، وعادوا الى سجنهم مرة أخرى ، وفى الساعات القليلة المتبقية على الرحيل ، تمكن برودلى وزميله نابيير من الحصول على مرتب شهر لكل منهم مقدما ، وتدخلت الحكومة بطريقة غير قانونية ، ومنعت أن تصطحب النساء المرافقات معهن أكثر من ٢٠٠ جنيه ، وتوافدت الهدايا سرا على عرابى من السيدات الأرستقراطيات (٣٧) • وكان التخطيط أن يغادر قطار

خاص يقلهم من داخل ثكنات قصر النيل الى السويس فى الساعة التاسعة من مساء ٢٦ ديسمبر : وخيمت على مكان الرحيل وتوقيته السرية ، فلم يعرفه الا القليل ، ومع هذا جرت بعض المحاولات للتمويه ، فقد وصلت تعليمات فى آخر لحظة بأن الرحلة تأجلت لسوء الأحوال الجوية فى السويس (٣٨) .

وانتبه برودلى الى هذا الأمر ، وكاحتياط للمفاجآت ، وضع مندوبا له فى نوبة دائمة عند السجن ليرقب التحركات ، وعليه أبلغه فى العاشرة مساء بأن عرابى ورفاقه غادروا المكان ، فأسرع متجها الى ثكنات قصر النيل ، حيث وجد القطار فى حراسة الجنود وعلى أهبة التحرك ، وجلست السيدات والأطفال فى المقدمة ، ثم وضعت الأمتعة والمتعلقات بصحبة الخدم فى العربة التالية ، وفى الدرجة الأولى جلس عرابى ورفاقه فى ديوانين ، وودعهم برودلى ، وتبادل بعض الكلمات مع عرابى الذى جامله وأثنى عليه ، وحدث أن تأخرت زوجة ابن عرابى وشقيقتها بناء على محاصرة البوليس لمنزله ، ولكن صدرت الأوامر بفك الحصار واحضارهما ، ورافق نابيير المنفيين ، ووقف على الرصيف بعض الشخصيات البريطانية ومحافظ القاهرة ، وتواجد بالقطار حرس مثلته الفرقة ٦٠ من السلاح الملكى البريطانى ، وأيضا بعض الضباط والجنود من المصريين (٣٩) . وما لبث الأمر أن تحرك القطار تاركا قصر النيل ، ويشاء القدر أن تكون نهاية قادة الثورة فى هذا المكان الذى شهد مولد تلك الثورة ونجاحها .

وفى السويس استقل المنفيون الباخرة فى منتصف نهار ٢٧ ديسمبر الى مقرهم الأخير ، وصحبهم الأميرالاى موريس بك — بحرى انجليزى — ملاحظ خفر السواحل وسليم عطا الله أحد مستخدمى المصلحة ، الأول ليكون الواسطة بينهم وبين الحكومة ، والثانى ليتولى عملية الترجمة ، وذلك فى اطار المهمة الرسمية التى وكلت لهما ، وهى تسليم المنفيين الى المسئولين فى سيلان (٤٠) . كذلك سافر على الباخرة مترجم آخر

لكنه كان على نفقة المنفيين ، كما صحبهم أحد ضباط البحرية ومعه فرقة من الجنود كحرس عليهم ابان السفر [٤١] • وتلبية لطلب دفرن ، أبرقت الحكومة فى ٣٠ دسمبر الى موريس بك وكلفته تبليغ ربان الباخرة بالرسو على الميناء الذى تحدده له حكومة سيلان [٤٢] ، لمزيد من التأكيد فى هذا الصدد • وفى نفس اليوم اتصل المسئولون المصريون بالمبعوث البريطانى وقدموا له الشكر على الترتيبات والتسهيلات التى قدمت للمنفيين [٤٣] • وبدأت مرحلة جديدة فى حياة عرابى ورفاقه كانت لها سماتها المختلفة عن المراحل التى سبقتها •

رست الباخرة ماريوتيس على رصيف ميناء كولومبو فى الساعة الخامسة من بعد ظهر ١٠ يناير ١٨٨٣ ، ولم يشأ حاكم سيلان أن يغير مكان اقامة المنفيين ، اذ اعتبر أن الثغر يلائمهم ، نظرا لارتفاع نسبة المسلمين ، فهى تبلغ ٣ر١٣٪ من مجموع السكان ، وتوفر أماكن العبادة حيث ضمت سبعة مساجد [٤٤] • هذا بالاضافة الى أن موقعها قرب الجنوب يجعلها أقل تأثرا بالتيارات الهندية ، وأخيرا فان التغيير ربما يترك البصمات السيئة على المنفيين الذين كانوا قد هيأوا أنفسهم للاقامة فيها [٤٥] • وكتب لونجدن الى وزير المستعمرات تقريره الشامل ليصف له وقائع الوصول تفصيليا ، وأعده بناء على تقرير نائبه دوجلاس Douglas الذى استقبل المنفيين على ظهر الباخرة وكان بصحبته مساعد سكرتير المستعمرة ، ويسجل نائب الحاكم أنه عقب لقائه بموريس بك تسلم منه ثبتا بالأسماء ، وبين أنه كان هناك عدد كبير من المسلمين متجمعين لاستقبال الوافدين ، ومن ثم فأثناء عودته فى المساء اتصل بأحد الضباط حتى يتم تفريق الجمع ، وبدأت هذه العملية من الساعة الحادية عشرة صباح اليوم التالى وحتى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، ولكنها لم تثمر بالنتيجة المرجوة ، اذ ازداد التجمهر وتجمع حشد كبير من المسلمين ، وانضم اليهم أوربيون ، وعندما نزل عرابى الى الشاطىء — كان على فهمى قد سبقه فى النزول — ارتفعت الأصوات

بالصياح والهتاف ، وأسرع البعض ليقبل يده ، ونزل باقى المنفيين ، وسلم دوجلاس موريس بك ايصالا بوصولهم واستلامهم [٤٦] • ويضيف عرابى بأن المسلمين لم يقتصروا على السيلانيين وانما انضم اليهم مسلمون من جاوة والهند والملايو ، وأن بعض الطوائف البوذية شاركت فى الاستقبال [٤٧] •

ويركز حاكم سيلان على ذلك التعاطف الذى غمر به المسلمون ضيوفهم ، ويوضح أعدادهم ومناطق تمركزهم ونصيب كولومبو منهم ، وأنهم أكثر شعوب الجزيرة نشاطا ، وأصولهم ترجع الى النسل العربى ، وبالتالى فان طبيعتهم العربية تختلف عن مسلمى الهند الذين هم من سلالة هندية ، ويشير الى أنه عندما يتصل بعرابى ورفاقه سيتبين له معرفتهم بعيدا عن السياسة [٤٨] • ومما لاشك فيه أن ما قام به المسلمون سيدفعه الى مراقبة العلاقة بين الطرفين •

وكان اللقاء بين المنفيين ونائب الحاكم طيبا ، حيث دار الحديث حول دوار البحر الذى عانوا منه ، ومحاولاتهم الأولى لتعلم اللغة الانجليزية ، ويبين دوجلاس أنه نفذ التعليمات الصادرة اليه بالعمل على راحتهم ، فنقلهم الى المنازل التى خصصت لهم ، وعندما طلبوا بعض التعديلات بها لبى طلبهم ، ويصفها بأنها غير مفروشة حيث لا تؤجر فى سيلان مساكن مفروشة ، وأنه آخذ فى شراء الأثاث اللازم ، ويرجع سبب التأخير الى اجازة عيد الميلاد ، ويذكر أنه عقد ايجارها لمدة ثلاثة أشهر ويتجدد تلقائيا ، وأن التوزيع تم على أساس منزل لكل من على فهمى ويعقوب سامى ، ومنزل جمع محمود سامى ومحمود فهمى ، بينما سكن عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى فى منزل واحد كبير على مساحة عشرة أفدنة وبه غرف عديدة للنوم والاستقبال وحديقة ، وذلك بناء على رغبتهم ، ومع كل منهم مرافقوه ، وأعدت لهم أطعمة تكفيهم ثلاثة أيام ، كما عين لهم خدم سيلانيون [٤٩] • وبطبيعة الحال تكفلت الحكومة المصرية بجميع تلك المصروفات [٥٠] •

ويصف عرابى لبرودلى فى خطـاب له الانطباعات الأولى عقب وصولهم ، وذلك الاستقبال الحار الذى قوبلوا به ، وتوجههم الى المنازل المعدة لهم ، ويستغرق فى الاشادة بها ، وكيف استكمل أثاثها وأصبحت غرفها ذات « أسرة عالية وأرائك متقابلة وفرش مرفوعة ومبسوطة » ، وأن حكومة سيلان رفعت عن كاهلهم ايجارها لمدة ثلاثة أشهر ، ويوضح أنه منذ اللحظة الأولى بدأ الناس يتوافدون على هذه المنازل « تطيب خاطرنا بوجوه باشة وصدور رحبة » ويسـجل اعجابه بالمدينة وخضرتها وأشجارها وثمارها وطيورها وشوارعها [٥١] • ثم يبعث بخطاب آخر يحمل نفس المعنى ، لكنه زاد عليه الثناء على رجال الحكومة البريطانية ، أيضا يرسل عبد العال حلمى وطلبه عصمت لبرودلى خطابا مشـتركا يعبران فيه عن ارتياحهما للجزيرة ، وأنها لا تختلف عن الصورة التى نقلها اليهما أثناء وجودهما بسجن الدائرة السنية ، وعلى نفس الوتيرة يسـجلان الشكر لبريطانيا ويدعوان لها بالبقاء ويشـيران الى اكرامها للمنفيين ، ويمضى يعقوب سامى ليتبع نفس الأسلوب [٥٢] • ونجحت بريطانيا فى تخطيطها وجعلتهم يلهثون بالدعاء لها ، وقد انتهجوا هذا السلوك نتيجة الهزيمة ، وبعد ايمانهم بأنها وهبت لهم الحياة ، وأنهـا غدت محتلة لمصر وكلمتها النافذة ، وبالتالى فمن المسلم به سـطوتها وسلطتها فى العفو عنهم ونوال حقوقهم • وعلى هذه الصورة انتهى الطريق بهم الى المنفى ، وأصبح عليهم أن يؤقلموا أنفسهم على تلك الحياة التى تنتظرهم فى ظل ذلك المستقبل المجهول •

هوامش الفصل الأول

(1) Blunt, W.S. : Secret History of the English Occupation of Egypt, p. 450.

(٢) الأرشيف النمساوى ، محفظة ١٤ ، لندن ، ٢٣ فبراير ١٨٨٣ ، محفظة ١٥ ، رقم ١٨٥ ، ١٥ أكتوبر ١٨٨٢ .

(3) Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, pp. 543, 544.

(٤) أرسل فى مهمة خاصة الى مصر فى نوفمبر ١٨٨٢ بواسطة الحكومة البريطانية بهدف دراسة الأوضاع القائمة ووضع المقترحات لتنظيمها وتحسينها .

(5) Blunt — Broadley, Nov. 2, 1882, in Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, pp. 455, 456.

من المعروف أنه لم يكن المقصود عرابى بمفرده ، وانما يدخل معه رفاقه .

(6) Ibid, Nov. 28, 1882, p. 472.

(7) Broadley — Blunt, Tel. Nov. 29, 1882, in Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, pp. 472, 473.

(8) Ibid, Nov. 30, 1882, p. 473.

(9) Blunt — Broadley, Tels. 29, 30, Nov. 1882, in Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, p. 473

(10) Broadley, A.M. : The Trial, Exile And Pardon of Arabi Pacha (1882-1902), Vol. II, How we Defended Arabi And His Friends, p. 407.

(11) Broadley — Blunt, Tel. Dec. 4, 1882, Blunt — Broadley, Tel. Dec. 4, 1882, in Blunt : Secret History of the English occupation of Egypt, pp. 473-474.

(١٢) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ ، مجموعة ٤٧ حربيــة ، ٣ ، ٧ ، ١٠ ديسمبر ١٨٨٢ .

(13) F.O. 78/4267, Dufferin — Granville, Cairo, April 24, 1883, No. 125.

محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ ، ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ .

(14) Ibid, Broadley, op. cit., Vol. II.

(15) Broadley, op. cit, Vol. II, How We Defended Arabi And His Friends, pp. 409, 410.

(16) Broadley — Blunt, Tel. Dec. 4, 1882, in Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, p. 475.

تقع سيلان فى الجنوب الشرقى من الهند حيث يفصلها عنها مضــيق بلك ، وأرضها خصبة ، وبلغ عدد ســكانها فى ذلك الوقت ثلاثة ملايين نسمة ، يمثل المسلمون فيهم ٨½٪ ، والباقى من الشنكليز والتمل عــنى مذهب البوذا ، وبعضهم هنود على مذهب براهما ، ويتصفون بالكرم وحسن الضيافة . أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية (المذكرات المخطوطة) ، جـ٢ ، ص٦٥٩ .

(17) Broadley : op. cit., Vol. II, How we Defended Arabi And His Friends, pp. 384, 385.

(18) Ibid, p. 395.

(19) F.O. 78, Op. Cit., F.O — Dufferin F.O, Dec. 8, 9, 12, 1882, No. 19, 21, 24, 41.

(20) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Dec. 9, 1882.

(21) Broadley : Op. Cit., Vol. II, How we Defended Arabi And His Friends, p. 395.

(22) F.O. 78, Op. Cit., F.O — Colonial Office, F.O, Dec. 9, 1882, F.O — Dufferin, F. O, Dec. 12, 1882, No. 24.

(23) Broadley : Op. Cit., Vol. II, How weDefended Arabi And His Friends, pp. 393, 394, F.O. 78, op. cit., Dufferin — Granville, Cairo, Dec. 18, 1882, No. 54.

(24) Broadley : Op. cit., Vol. II, How We Defended Arabi And His Friends, p. 397.

(25) F.O. 78, Op. Cit., Dufferin — Granville, Cairo, Dec. 18, 1882, No. 54.

(26) Ibid, Colonial Office, Feb. 21, 1883 (Egypt), Ordnance Surrvey Office — Dufferin, Aug. 4, 1883.

محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ ، بينت الخارجية البريطانية أن عـــدد المرافقين ٥٨ شخصـــا (F.O. Dec. 26, 1882) ، وذكرت وزارة المستعمرات أنهم ٥٢ شخصا (C.O. Feb. 21, 1882) ، وأشارت محافظ الثورة العرابية أنهم ٨٤ شخصا (محفظة ٤٢) ، وسجل عرابى أنهم ٤٨ شخصا (المصدر المذكور ، ص ٦٤٥) .

(27) Ibid, Ordnance Survey Office — Dufferin, Aug. 4, 1883.

(28) Ibid, Dufferin — Granville, Cairo, Dec. 18, 1882, No. 54.

(29) Broadley : Op. Cit., Vol. II, Dec. 2, 1882, How we Defended Arabi And His Friends, pp. 405, 406.

(30) F.O. 78, Op. Cit., Dufferin — Granville, Cairo, Dec. 18, 1882, No. 54.

(31) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Dec. 15, 21, 1882.

(32) Ibid, Dec. 21, 1882.

(33) Ibid, Downing Street — Longden, Dec. 21, 1882.

(34) Ibid, Dec. 24, 26, 1882, F.O — Dufferin, F.O, Dec. 30, 1882.

(35) Ibid.

(36) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Dec. 26, 1882.

(37) Broadley : Op. Cit., Vol. II, How we Defended Arabi And His Friends, pp. 411-413.

تنوعت الهدايا ، فجمعت بين القرآن الكريم وسجادة الصلاة وحقيبة السفر وسلة الرحلات .

(38) Ibid, p. 414.

(39) Ibid, pp. 414-417.

(٤٠) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ ، مذكرة مقدمة الى وزارة المالية فى ٣ ابريل ١٨٨٣ بشأن منح مصاريف السفر لهما .

(٤١) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٤٤ .

(42) F.O. 78, Op. Cit., Dufferin — Granville, Cairo, Dec. 31, 1882, No. 71.

(43) Ibid, No. 72.

(٤٤) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٦٤ .

(٤٥) بالفعل لم تمض الا أيام وأعلن المنفيون عن رغبتهم لحاكم سيلان فى البقاء بكولومبو ، حيث تحدث عرابى معه بالنيابة عن رفاقه وبين أن ذلك لا يعتبر نقدا لعهدهم .

F.O. 78, Op. Cit., Longden — Derby, Kandy, Jan. 30, 1883.

(46) Ibid, Jan. 13, 1883, Lt Governor Douglas's Report, Jan. 11, 1883.

(٤٧) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٤٤ .

(48) F.O. 78, Op. Sit., Longden - Derby, Kandy, Jan. 13, 1883

(49) Ibid, Lt Governor Douglas's Report, Jan. II, 1883.

(٥٠) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ ، مذكرة نظارة المالية الى مجلس النظار ، ٢٨ مايو ١٨٨٣ .

F.O. 78, Op. Cit., Downing Street, Aug. 27, 1883.

وصلت مصاريف استقبالهم الى ٥٠٠ جنيه .

(51) Broadley : Op. Cit., vol. II.

(٥١) خطاب من عرابى الى برودلى فى ٨ ديسمبر ١٨٨٣ يذكر فيه مختصر تاريخ اقامته هو ورفاقه فى سيلان .

(52) Ibid.

الخطابات المرسلة بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٨٣ .

الفصل الثاني

العلاقة مع بريطانيا

انتهى المطاف بالقادة الثوار بالاستقرار فى المكان الذى اختير لهم ليقضوا به العقوبة التى فرضت عليهم ، وأحيل أمرهم الى بريطانيا ، وعليه فقد وضعت سياستها وفقا لخطوط معينة انتهجتها رغبة منها فى درء أى خطر يكمن وراءهم وخاصـــة عرابى ، ويكون له انعكاساته عليها ، ولكنها لم تتمكن تماما من تطبيق سياسة العزلة عليهم ، واتسعت دائرة اتصالاتهم ودخلت تحتها الشخصيات البريطانية •

منذ اللحظة الأولى ، راحت عيون المسئولين البريطانيين ترقبهم ، وعقب وصولهم بيوم طلب جرانفل تبليغ دربى بصـــورة التعهد الذى قدموه لدفرن ، وارسال صورة منه الى حاكم سيلان [1] • والواقع أن الحكومة البريطانية كانت حريصة للغاية على التمسك بهذا التعهد ، ومما يذكر أنه بعد مضى ما يقرب من أربعة أشهر من وصول المنفيين ، قدموا للحاكم عريضة موقعه منهم بينوا فيها أنهم يعترفون بما أقروا به ، ويحافظون على كلمة الشرف التى أعطوها ، ولكنهم أكدوا أن ذلك صادر منهم للحكومة البريطانية التى يمثلها مبعوثها دفرن ، الذى هـــو ليس بمبعوث للخديو ، وبالتالى فهم فى حل من هذا الوعد بالنسبة للحكومة المصرية ، ثم أشـــاروا الى انتصـــار الانجليز على مصر ، وأنهم أصبحوا أسرى حرب ، وعلى بريطانيا أن تبر بوعودها التى بناء عليها أقروا بالعصـــيان خلافا للواقع ، حيث أفهمهم دفرن أنهم بهذا الاقرار يقدمون لها خدمة نظير الاصلاح الذى ترغب فى اقامته بمصر • ورفعت العريضة لدفرن ، فرد عليهم ، وأدحض قولهم ، وبين أن الأمر لا يختلف سواء بالنسبة للحكومة البريطانية أو الحكومة المصرية [2] • ومن ثم فشـــلت تلك المحاولة ، وان اعتبرت نوعا من التمرد لم يكن قد ألفوه أثنـــاء النفى •

وكان الحرص واضــحا منذ أن وطئت أقدام المنفيين أرض جنة آدم ، فيبعث حاكم ســيلان الى وزير المستعمرات ليعلمه أنه سيتصل بحاكم الهند بخصوص تنفيذ التعليمات الخاصة بعدم مغــادرة المنفيين ســيلان ، وأنه كلف ضابط بوليس انجليزى يدعى هوارد Lt Howard للاشراف على تحركاتهم ، وهو ذو خبرة عشرين عاما ، ويعمل تحت قيادة المفتش العام للبوليس بالحى الغربى لكولومبو ، وثبت ذكاؤه وكفاءته ، وصفاته تؤهله لتأدية المهمة بدقة ، فى الوقت الذى سيعمل فيه على سلامتهم ، وأنه فى حالة الضرورة يمكنه الاتصال بقائد عــام البوليس والاســتعانة بالجنود ، ويشير لونجدن الى الخطر الماثل فى الهند وســيلان المتمثل فى امكانية قيام حركة اســلامية ، والخوف من النظرة للمنفيين على اعتبار أنهم أبطال ومخلصون لوطنهم ، وأن عرابى يعد قائدا من قــواد المســلمين ، وبالتالى ســيكون هناك تلاق بين الطرفين ، ثم يبين أن أعضاء الجمعية الاسلامية يصــل عددهم الى ٢٠٠ ألف شخص من بينهم ٥٣٦ و ١٨٤ مســلما متعصبا ، وأنــه علم من موريس بك أنهم يتكلمون العربية كما يتكلمها المصريون ، وهــذا يعطى الفرصــة لاتصالهم بالمنفيين وخاصــة أن من هؤلاء المســلمين تجارا يتعاملون مع الهند ، وبالتالى تتسع دائرة الاتصــال بعرابى ورفاقه مع مسلمى الهند ، وتكون النتيجة أن تفتح الهند أبوابها لهم اذ ما رغبوا فى ذلك (٣) .

وينتقل حاكم سيلان الى وجوب أن يكون المشرف عليهم قويا وشديد الحيطة لهذه الظروف ، وأن يعد نفســه لجميع الاحتمالات ، ويحول بينهم وبين الاجتماعات الاســلامية التى تعقد ، وأخيرا يقترح ضرورة أن يكون هناك تحفظ فى اختيار مكان اقامتهم فى حــالة رغبتهم فى التغيير ، فيستبعد ميناء جفنة Jaffna حيث يفصــله عن شــاطىء الهند ٣٣ ميلا فقط — مضيق بلك — وتوجد بواخر يومية تربطه بالموانى الصــغيرة بالهند ، وذلك يستدعى احكام الرقابة للخوف من الســفر

للهند خفية . أيضـــا يستبعد ميناء باتيكالوا Bat!icalloa ، وان كانت تبعد عن الهند ، الا أنها ترتبط بجفنة بتجارة واســعة ، ويمثـــل فيها المسلمون نسبة عالية ، وأنه بناء على هذه الاعتبارات لا يصـــرح للمنفيين بالاقامة فى هذين المكانين (٤) . ويوافق دربى على تحليلات ورؤية حاكم سيلان ، وتصرح لندن بأنها لن تسمح للمنفيين بالانتقـــال الى جفنة أو باتيكالوا ، وتبين أنه فى حالة ما اذا نقض أى منهم عهده ورجع عن كلمة الشرف وغادر ســـيلان ، فلن يســـمح له بالتوجه الى الهند وانما الى سيشل (٥) .

وجرت الاتصالات مع وزارة الهند ، فتسلمت رســـالة من وزراة المستعمرات وأخرى من حاكم ســـيلان ، بخصوص احتمال اتصـــــال المنفيين بالمسلمين فى الهند ، وعليه تم اخطار دربى بأن الهند لن تصرح لهم بالاقامة فيها اذا تركوا سيلان (٦) . وصـــدرت التعليمات بأن يكون طلبهم فى تغيير أماكن الاقامة محدودا ، وينحصر فى أحياء معينة ، ووجوب تحديد تحركاتهم فى المناطق التى يقيمون بها (٧) . ويكتب نائب حاكم سيلان الى دربى عن تلك الاجراءات التى اتخذها لاحباط تنفيذ أية محاولة يقومون بها لمغادرة الجزيرة ، ويسجل له أنه أعطيت لهم الحرية التامة ، اذ يتمتعون بكل ما يريدون ، ولم يعاملوا كمســـاجين أو أسرى حرب ، وأنهم لن يجدوا ذلك فى بلد آخر ، ويؤكد على ضرورة مراقبة الموانى خشـــية ســـفرهم على احـــدى البواخر الايطالية أو غيرها ، حيث يكون الموقف صعبا فى هذه الحالة ، ومن ثم لابد من وضع رقابة صارمة عليهم (٨) . وبعثت لندن لحاكم ســـيلان تخبره بأنه لو استدعى الأمر استخدام القوة لمنعهم من ترك ســـيلان تستخدم ، وأن تصـــدر الأوامر للضباط بالرقابة الفردية عليهم ، وتكون بحذر تـــام دون اشعارهم بزيادة الحرس ، وذلك بعد زحف الشـــك الى التعهد وكلمة الشرف (٩) .

وتنفيذا لهذه السياسة ، أصبح لابد من محاصرتهم واحـــاطتهم بســـياج من التحكم ، وقد أدى جوردن Gordon حاكم سيلان دوره فى هــذا الشـــأن ، واعتمد فى تنفيــذ المخطط على كامبل Campbell مفتش عام البوليس ، الذى كان يدون كل حركة عنهم ويرفعها اليه ، وفى البداية أوضـــح له أن الرقابة عليهم ليست بالعمل السهل وتحتاج الى حيطة ، وأنهم يقيمون فى منازل متباعدة ومتفرقة فى أنحاء المدينة تحيط بها حدائق واسعة ، وقد أعطى للخدم أوامر بعدم السماح للجمهور بالاتصال بهم بأى حال أو دخول منازلهم ، ويشير الى حرصهم عــلى على ألا يرى أحد زوجاتهم وحريمهم ، وأن بعضهم يغادر منزله لزيارة زميل له وقد يعود فى وقت متأخر أو لا يعود الا فى الصباح ، ثم يبين أن المسئولية جسيمة لتلك الصعوبات التى تكتنف الرقابة (١٠) .

ولكن ما لبث الأمر أن دون تقريرا فى ٣ ديسمبر ١٨٨٣ وتنــاول فيه بالتفصيل خطواتهم وما هو مصرح لهم وما هو محرم عليهم ، فقد سمح لهم بالتجول فى المدينة وأخطرهم أنه عند طلب أى مساعدة أو الرغبة فى الاتصال بالحكومة يكون ذلك عن طريقه ، وأنه عين الحرس واستعان بقوات أخرى من الخدمات ، وعندما ارتاب فى احتمال اتصال أحد منهم أو أكثر بالهند أحكم الرقابة ، ثم يتحول الى اعطاء وصــف شــامل لصفاتهم ، فيذكر أنهم أذكياء ، وأعمارهم تتراوح بين ٤٠ — ٤٥ سنة ، ويتسمون بالهدوء والنظام وتنسيق منازلهم ، وأنهم على علاقة صــداقة مع الشخصيات البارزة بالمجلس التشريعى والزعمــاء المسلمين ذوى الاتجاه المعتدل وأصحاب المحلات وصغار التجار ، وجميع هؤلاء مخلصــون للحكومة البريطانية ، وأنهم — أى المنفيون — يفضلون الحــديث باللغــة العربية ، وان كانوا قــد تعلموا القليل من اللغــة الانجليزية ، وأخلاقهم وطباعهم حسنة ، ويتحلون بالأدب الجم ، ويسرهم اتصــالهم المحدود بالأوربيين ، ثم يبين كيف كون معهم علاقة أسرية حيث دعاهم بمنزله والتقت زوجاتهم بعائلته ، وأنهم على علاقة صداقة وثيقة مع اثنين من ضباطه الذين هم موضع ثقته (١١) .

وينعطف مفتش عام البوليس على الاتجاه السياسى للمنفيين ، فيشير الى أنه ليس من السهل التعرف عليه لجهلهم أى لغة خلاف اللغة العربية ، وقد أعلمه بلنت أنهم يعتبرون أنفسهم ضحية ، وينظرون الى توفيق على أنه رجل مجرد من الأخلاق ، ويذكر التحذيرات التى فرضت عليهم بألا تكون لهم صلة بالسياسة أو الاتصال بمصر ، ويبين أن محمود صدقى نجل محمود فهمى الذى يبلغ من العمر ما بين ١٨ — ٢٠ سنة ، قام بتهديدات ان لم يعد المنفيون الى مصر لرغبته فى الاشتغال بالسياسة ، وألقى خطبه فى أحد اللقاءات التى عقدت لبلنت باللغة الانجليزية حملت هذا الاتجاه ، وكان قد حدث خلاف بينه وبين أبيه وغادر منزله وأقام مع عرابى (١٢) .

وبذلك أصبحت الصورة واضحة المعالم أمام أعين المسئولين ، وكان الخوف مسيطرا عليهم من خرق مخططهم ، وفى مارس ١٨٨٤ انتشرت اشاعات بأن عرابى ومحمود فهمى يستعدان للعودة الى مصر ، وأنهما أعدا ملابسهما ويجهزان نفسيهما للابحار ، وعلى الفور كتب كامبل للحاكم وصرح بأنهما صاحبا النشاط من بين المنفيين ، ودائما يجتمعان فى منزل عرابى ، وأن لهما زائرين كثيرين ويتردد عليهما بحارة فرنسيون وبعضهم يبقى لوقت متأخر من الليل ، ومن الممكن اصطحابهما معهم بسهولة ، حيث أن الزيارات غير ممنوعة وذلك مما يعمل على صعوبة عمل المخبرين ، وأن عرابى شكا لأحد الشخصيات البريطانية من رصد جميع تحركاته . وينتهى مفتش عام البوليس الى قراره بأنه سيقبض على كل من يحاول الهرب من المنفيين (١٣) .

وواصل الحذر طريقه ، فعندما قام سلطان مملكة جاهور الهندية — من المسلمين الشيعة — بزيارة عرابى عام ١٨٨٤ صاحبه مستشار بريطانى ، وأدرك عرابى مغزى المرافقة « حتى لا ينبس نبسة الا حفظها الرقيب عليه فى حبة قلبه ، وبعد نصف ساعة عاد — أى السلطان — الى دار حكومة سيلان » (١٤) . ومن المحتمل أن تكون هذه الزيارة بوازع

من السـلطات البريطانية لقياس غور اتجاهات عـرابى حيال مغادرة الجزيرة .

وشكلت مسألة المراسـلات بين المنفيين وذويهم ميدانا جـرت فيه المباحثات وتناولت مسألة الرقابة عليها ، فعقب وصولهم بعشـرة أيام ، كتب حاكم سيلان الى وزير المستعمرات يعلمه برأيه فى أن تتم الرقابة بالسويس ، حيث وصـول البريد اليها وخروجه منها ، وتكون بمعرفة الحكومة المصرية ، اذ وضـع فى الاعتبار أن البعض منهم ترك أفرادا كثيرين من عائلته فى مصر ، وطبيعى ستكون هناك خطابات متبادلة بينهم ، وبالاضافة الى أنها تعد مراسـلات خاصة ، فهى باللغة العربية ومن الصعب قراءتها فى سيلان حتى لو سمح بذلك ، ويحتاج الأمر لمترجمين،واذا وجدوا،فان فتح الخطابات وقراءتها ستعكس انطباعا سيئا عليهم ، أيضـا فالثقة ليست متوفرة لديهم ، وستكون النتيجة فى غير المصلحة . أما فى مصر فالوضع يختلف تماما ، فالمنفيون وضعهم حساس للغاية لأنهم كانوا ثوارا ، وأقل ما يمكن أن يتنفسوا الصعداء بمراسلاتهم مع عائلاتهم ، ويصـح للحكومة المصرية بعد الرقـابة تسليم المراسلات لذويهم مع ضـباط مصريين ، وعليه فالوضع متغير بين سيلان والسويس ، ويؤيد دربى وجهة نظر لونجدن [١٥] .

وأخطرت الخارجية البريطانية دفرن لترتيب الرقابة على المراسلات وفقا للخطة السابقة [١٦] . ومن ثم قام المبعوث البريطانى بالاتصـال بالمسئولين بالحكومة المصرية للقيام بهذه المهمة اذا كانت قوانين البريد تسـمح بذلك ، وكتب الى جرانفل يطلب منه أن يبلغ حاكم سـيلان عرابى ورفاقه بعـدم ارسـال خطابات لمن كانـوا يعملون معهم فى الثورة [١٧] . وكانت لوزير الخارجية البريطانية رؤيته الخاصـة ، فقد أبدى رغبته فى وقف ارسـال خطابات من المنفيين الى مصـر ، ولكن المسئولين البريطانيين لم يقروا ذلك وخاصـة أن هذه المراسلات

لعائلاتهم ، وأوضحوا أنه اذا وجدت خطابات تمس السياسة فينظر فيها ويحذرون من ارسالها أو أن يكون لهم أى اتصال بالسياسيين [١٨].

ونفذ المسئولون فى مصر مسألة الرقابة ، فخضعت البرقيات والخطابات لها [١٩] . ومثلت مراسلات عرابى أهمية خاصة ، وذلك عندما اشتبه وزير المستعمرات فى امكانية أن تكون هناك خطابات بينه وبين المهدى ، وعليه أرسل لحاكم سيلان تحت هذا المعنى ، فرد مبينا أن الخطابات العادية الصادرة منه أو الواردة اليه اذا فتحت ، فمن المحتمل اكتشاف ذلك ، ولكن الخطابات المسجلة خاصة المرسلة منه للخارج يمكن فحصها بكل اطمئنان ، وأرفق بكتابه صورة خطاب مرسل الى عرابى بمعرفة باخرة فرنسية ، ويذكر أنه فور اكتشافه لذلك اتصل مباشرة بالمعتمد البريطانى فى مصر بهذا الخصوص [٢٠] .

اذن لم تعد الرقابة قاصرة على السويس . وفتحت خطابات عرابى ، وأرفقت الخارجية البريطانية أحدها مرسل منه لمصر ، وتبين أنه ليست له أهمية ، وبالتالى رأى جرانفل عدم فتحها وفحصها ، الا اذا كان هناك سبب وجيه ، وفى الوقت نفسه ترك لحاكم سيلان اتخاذ ما يراه فى هذا الشأن [٢١] . وعادت الخارجية البريطانية لتؤكد أنه لا ما نع من تسليم عرابى الخطابات الواردة له أو ارسال الصادرة منه طالما أنها عادية [٢٢] .

وبذلك يتضح شغف المسئولين البريطانيين لمعرفة اتصالات عرابى واتجاهاته ومدى ارتباطاته السياسية خاصة مع المهدى الذى حمل التقدير لقائد الثورة العرابية ، وكم تمنى أن يفتديه ويفك أسره ، ورغم أن عرابى كانت له رؤية فيما يختص بالمهدى المنتظر حيث لم ترق له تلك المسألة ، الا أنه لم يعارض موقفه الثورى ، ففى عام ١٨٨٤ نزل بالجزيرة لورد روزبرى Rosbery — من الأحرار وصديق لجلادستون — والتقى بعرابى ، وحضر المقابلة محمود فهمى ، وتحدث اللورد عن دعوة

المهدى وخطورتها على مسلمى الهند ، وأن الحكومة المصرية أرسلت جيشا تحت قيادة هكس Hicks ، وطلب معرفة رأى محدثه ، فاستنكر ذلك بطريقة تنم عن الذكاء مبينا أن فى هذا صالح للمهدى وتقوية لثورته ، وعندما سأله اللورد عن العلاج أفاد بامكانية ارسال وفد مصرى من العلماء لاقناعه بأن وقت المهدى المنتظر لم يحن بعد ، وأن كان طالبا لملك فينصب أميرا على السودان تابعا لمصر التى عليها ادخال الاصلاحات اليها مقابل جزية تدفعها لها (٢٣) .

ومن الملاحظ أن معاناة بريطانيا من الثورة المهدية قد تركت أثرا طيبا على نفسية عرابى حيث شفى غليله لتلك الهزائم التى منيت بها ، واعتبر هذا انتقاما منها لما قامت به تجاه الثورة التى قادها ، لكنه لم يجهر بذلك صراحه ، وفى الوقت نفسه ساءه تصرفاتها ، ويترجم موقفه الخطاب الذى بعث به الى زوجة بلنت فى ٢ مارس ١٨٨٥ — بعد سقوط الخرطوم — ردا على ما كتبه بلنت فى صحيفة التايمز عن مصر وانجلترا والسلطان ، وتلك القصيدة التى حملت عنوان « الرياح والعواصف » التى تعرضت للمآسى والنكبات المتوقع حدوثها ، ويشيد بذلك معلقا على قدرة الله فى انقاذ الضعفاء والمظلومين وتحطيم الجبابرة ، ويسوق الأمثلة بالامبراطوريات التى هوت عروشها ، ويتحول الى الموضوع الأساسى ، فيبين أنه شديد الكدر لسقوط نجم انجلترا بسبب أعمالها السيئة فى مصر والسودان ، ويشير الى أن الله يسمع صراخ المظلوم والأرملة والطفل الصغير وسوف ينتقم لهم ، وأن الشعب المصرى لديه النية الطيبة ازاء الأمة الانجليزية ، وثقته فيها أكثر من سواها ويؤسفه أن يرى فى اعتقاده هذا نوعا من الوهم والخداع (٢٤) .

ويعدد عرابى ما فقدته انجلترا ، اسمها الحسن ، وصداقتها لجميع المسلمين وللسلطان ، وجوردن — نظرا لاتباعه النصائح المزيفة — وهكس ايرل وكثير من الضباط ، واحترام الجميع ، وذلك كله لحربها

وهكس وايرل وكثير من الضباط ، واحترام الجميع ، وذلك كله لحربها

ضـــد الرجال الأحرار فى السودان • ويستعلم عن الوقت الذى ستتوقفه فيه عن المضى فى هذا الأسلوب بارسالها جيوشا من رجال ينتقمون لاخوانهم المصريين ، ويدافعون عن وطنهم ، ويفضـــلون نجرع كأس المنية عن رؤيتهم لعدو يخترق حدوده • وينتهى عرابى الى أن خمسة عشر مليونا من هؤلاء السودانيين قد وضـــعوا أيديهم على السودان ودارفور وجميعهم من أتباع المهدى الذين عاهدوه على الاستشـــهاد اتباعا لما جاء به القرآن الكريم ، وبالتالى فانه يزداد قوة كلما اشـــتد العدوان الانجليزى • ويختم خطابه بالقول « وتلك هى حكمة الله مع خلقه ، ومع كل هؤلاء الذين لديهم القدرة على أن يروا ويتأملوا ويفهموا ، وهذا هو القانون الالهى الذى لا يمكن الهروب من حكمه ، وأن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء » (٢٥) • وعاد عرابى وبعث بخطاب آخر الى يعقوب بن صنوع فى ابريل ١٨٨٥ حمل نفس المعنى (٢٦) •

ومن ثم ينعكس العطف الذى أســبغه عرابى على الســـودانيين وثورتهم ، وعقب القضاء عليها استمر فى موقفه الودى من السودان ، ففى حـــديث له مع مراسل الصـــحيفة البريطانية Pall Mall Gazette فى يناير ١٨٩٢ ، وعندما سأله عن اعادة التجارة بين مصر والسودان ، أجـــاب بأنه طالما بقيت القوات البريطانية فى مصر فلن تعود ، وأن بقاءهم يؤدى الى كراهية السودانيين لمصر ، واذا غادروها فســـتكون مصر والسودان دولة واحدة بحكم الدين واللغة والطباع ثم ذلك النيل الذى يربط حياتهما (٢٧) • وعليه ينجلى أن توجس المسئولين البريطانيين خيفة من تعاطف عرابى مع السودانيين كان فى محله ، وأن حرصهم الشديد على اقصاء أى ترابط جعلهم يتشددون فى مسألة الرقابة عليه •

ولم يتحقق التخطيط البريطانى تماما بشأن تحويل المنفيين الى أفراد عاديين خاصـــة عرابى ، وكسرت سياسة العزلة ، ودون الدخـــول فى تفصيلات ، فان الثورة العرابية كان لها الأصداء الخارجية فى أوربا وأفريقيا وآسيا ، واعتبر قائدها رمزا للوطنية أمام الجميع ، وتحـــول

فى نظر المسلمين على وجه الخصوص الى شخصية مدافعة عن الاسلام ، هذا واذا وضعنا فى الاعتبار ما كان يتردد بشأن نسبه الشريف تكتمل الصورة لتغدق عليه المكانة حتى بعد الهزيمة ، وساعد مكان نفيه على تلك الاستمرارية .

وبدأت تفد على عرابى مراسلات من بعض حكام ممالك جنوب شرق آسيا — سيام ، سنغافورة ، الملايو — والمقربين لهم ، وبالاطلاع عليها تبين أن منها ما يحمل الألقاب الدالة على العظمة والسلطان ، كما أنها تفيض بالفخر به ، لدرجة أنه يعلق على احداها « ومن المعلوم أنى لست بملك ولا سلطان ، ولكن هذا مبلغ علمه (المرسل منه) وحسن ظنه وفرط حبه لآل بيت الرسول ﷺ » [٢٨] . وبعضها يعد فيها أصحابها بزيارته ويرسلون معها صورهم ، وبعضها يشيد به ويركز على نسبه حتى يصل به الى ابن عبد مناف ، ومما تجدر الاشارة اليه أن احداها يتعرض فيها كاتبها الى أن الانجليز تغلبوا على مملكة كدة — تقع فى الملايو — واستأثروا بها ولم يتركوا للعائلة الحاكمة فيها الا العاصمة وحفظوا لحاكمها لقب السلطان فقط وعينوا له مستشارا انجليزيا [٢٩] . وهذا يدعونا الى التساؤل ، كيف سمحت الرقابة بوصول تلك الخطابات لعرابى ؟ الواقع أنه تسلم البعض منها بواسطة القناصل ، وكان يقوم بالرد عليها [٣٠] ، وبالطبع استخدم نفس الطريقة . وهكذا تبدو رؤية الحكام المسلمين لعرابى ، وعدم تمكن السياسة البريطانية من قطع هذه الاتصالات .

ومما لا شك فيه أن للخطابات ثقلها وعلى وجه الخصوص لدى الذين يعيشون غرباء عن بلادهم ، وحالة المنفيين كانت فى أشد الحاجة لمن يواسيهم ويضمد جروحهم ويحسن من نفسيتهم ، خاصة أن الهجوم صوب عليهم ، وقد بعث نينيه Ninet — صديق قادة الثورة السويسرى — بخطاب الى عرابى فى ٢ أكتوبر ١٨٨٣ يدحض فيه ماذكرته الصحافة الأوربية عنه ومن سار فى ركابها ويشيد بوطنيته وبرفاقه

الذين شاركوه كفاحه (٣١) • وعلى نفس الدرب يرسل عبد الله النديم رسالة اليه « يعزيه بها ويسليه بعد الذى جرى من الانكسار والرحيل من الديار » وضمنها موجزا لتاريخ مصر الحديث ، والظلم الذى وقع على المصريين ، وتأسيس الحزب الوطنى ، وقوة شخصية قائد الثورة ووقائعها ، وما قام به الخونة ، وما ينتظرهم من سوء عاقبة ، ويسوق له الأمثلة من الهزائم التى تعرض لها الخلفاء والملوك ، وأن الأمل فى العودة لمصر قريب ، ويحاول رفع معنويته ، فيذكر له شوق المصريين اليه ، وأنه عندما يصــل منه خطاب الى أحد يدور به على محبيه ، ثم يعرج على مكانته فى الغربة وشهرته الواسعة وزيارة العظماء له ، كذلك يمجد رفاقه (٣٢) •

أما عن اللقاءات مع المنفيين على الأرض السيلانية ، فعقب أيام قليلة من وطء أقدامهم لها احتفى بهم ، فأقيمت المآدب المتعددة ، بدأها الأعضاء المسلمون بمجلس الشـــورى والأعيان ، ثم تلاحقت عــلى أيدى غيرهم من الطوائف الأخرى ، وقــد رد المنفيون هذه الدعوات الى أصحابها فى وليمة مشتركة (٣٣) • ومما يسجل أنه كما كان منزل عرابى فى مصر يمثل بيت الأمة أثناء الثورة ، فان منزله فى جنة آدم اتخذ شكلا مشابها ، فلم يمض الا وقت قصير حتى اتخذ كل من المنفيين منزلا مســتقلا بناء على طلبهم من حاكم ســيلان الذى اعتبره طلبا معقولا (٣٤) • واستمروا فيه حتى عام ١٨٩٢ حيث انتقلوا الى مدينة كاندى ، ولم يبق فى كولومبو الا محمود فهمى لمرضه • ويزداد عدد المسلمين فى المقام الجديد اذ يمثلون نصف عدد الســكان ، ويذكــر عرابى أن سبب الانتقال اليها يرجع الى « قرب مناخها لمناخ مصر فى زمن الربيع » (٣٥) • ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد ، فمعروف أنها مقر للحاكم البريطانى ، وبالتالى تكون متابعتهم أيسر وأسهل •

وكان من الصعب منع الزيارة لمنزل عرابى خاصة بعد أن اتسعت صداقته وتوافد عليه الكثيرون ، فقد أصبح مسلمو الهند يمرون عليه

أثناء رحلة الحج الى مكة . وتعلق صحيفة The out Look « انهم جاءوا ليعبروا عن تقديرهم للرجل الذى يعتبرونه بطل الوطنية المصرية ، والذى ساقه القدر ليكون أحد سكان هذه الجزيرة ، تلك التى تمتعت بمكانة دينية لهبوط آدم عليها » [٣٦] . ومما لا شك فيه أنه للمسحة الدينية التى ارتسمت عليه أثرها ، فارتباطه بالمسجد ومداومته على قراءة القرآن الكريم [٣٧] ، أعطته انطباعا خاصا لدى الناس ، فأقبلوا عليه ، وتقربوا منه ، ومع هذا فان الأمر لم يقتصر على استقباله للمسلمين فقط ، وانما فتح بابه على مصراعيه حتى لقد طرقه جنود من أوربا وأمريكا [٣٨] . وأسعده هذا المناخ الاجتماعى وجعله يواصل الاستمتاع بمركزه ، ولم يحظ غيره من المنفيين بما تمتع به ، ويرجع ذلك الى طبيعة شخصيته فهو يمتلك القدرة على جذب محدثيه ، هذا من ناحية ، وما انطبع فى الأذهان بشأن دوره فى زعامة الثورة وتحديه واشهاره السيف فى وجه بريطانيا من ناحية أخرى .

وحملت علاقة المنفيين بالانجليز طابعا خاصا ، فقد تعرض حاكم سيلان للوم المسئولين البريطانيين فى لندن لدعوته لعرابى ومحمود فهمى ومحمود سامى لمأدبة عشاء عقب وصولهم الجزيرة بأربعة أشهر على أساس أنه كان فى كاندى وقت وصولهم ، وأن الدعوة شملت خمسة وعشرين شخصا من بينهم هؤلاء الثلاثة وأجنبيان آخران ، وأنه فى اليوم التالى للمأدبة أقامت زوجته حفل عشاء لزوجات المنفيين وفقا لعاداتهم بشأن عدم اجتماع الرجال مع النساء فى مكان واحد ، ويعتذر لونجدن عن تصرفه ويبين أنه لم يعامل المنفيين معاملة خاصة وانما كباقى المدعويين [٣٩] . معنى هذا حرص لندن على الحد من الانفتاح والمحافظة على سياسة الانكماش .

ومما يذكر أنه عند زيارة الرسميين البريطانيين للجزيرة كان لابد أن يتم اللقاء بينهم وبين عرابى ، حدث ذلك عندما حضر اليها تشمبرلن

Chamberlain ورورزبرى وماكدونالد Mac. Donald ، وجرى الحديث عن بعض القضايا السياسية ، وقد نطق عرابى بشكواه موضحا حقه الكامل فى العودة الى وطنه ، ووعده الجميع بالمساندة عندما تحين الفرصـــة المناسبة ونصحوه بالصبر حتى يأتى الفرج [٤٠] . أيضا حينما قـــدم دوق كنوت D. Of Connaught الابن الثالث للملكة فيكتوريا كان عرابى على رأس مستقبليه ، ودعا الدوق المنفيين لمأدبة أقامها لهم بمقـــر الحكـــومة [٤١] . هـــذا وقـــد أثمـــرت زيـــارة دوق كورنـــول ويورك D. Of Cornwall & York عن اطلاق سراح عـــرابى وعلى فهمى من النفى وعودتهما الى مصر [٤٢] . كذلك استقبل عرابى بعض مسئولى الهند البريطانيين [٤٣] .

وتوثقت الصـــلة بين المنفيين ووليم جريجـــورى W. Gregory — عضو مجلس العموم البارز ، وعضو حزب الأحرار ، ومن أتبـــاع جلادستون ، وعلى صـــلة بالبلاط الملكى ، وقد تعاطف مع الثورة وحرر المقالات لصالحها فى صحيفة التايمز — فقد كتب لوزير المســـتعمرات ليعرض طلباتهم المتعلقة بالناحية المالية وبعض المسائل الشخصية الخاصة باحضار الزوجات ، ويبعث دربى بتلك المراسلات التى تؤيد تظلمـــات المنفيين الى جرانفل ، وتقوم الخارجية البريطانية بالرد عليه [٤٤] . ويقف فى مجلس العموم ليستعجل عودة عرابى ورفاقه الى وطنهم ، ويعمل كل ما فى وسعه ليحسن من حالتهم المعيشية حيث كان يؤمن بأن ما يتقاضونه غير كاف لهم ولعائلاتهم على الاطلاق [٤٥] . كما قام بأكثر من زيارة لهم عندما حضر الى سيلان . وعليه يتضح اتصـــال الخط بين المنفيين وكبار الشخصيات البريطانية .

وربطت العلاقة بين المنفيين وغير المســـئولين من البريطانيين ، وشكل بلنت ركيزة أساسية فيها ، فقد لعب دورا أثناء الثورة اذ عمل فى صفها ، وان كان هذا الدور يشوبه نوع من الغموض يفرض بعض التكهنات عـــلى الهدف من هذه الصلة ، الا أنه أعطى صـــورة الرجل

المتعاون ، وبرزت مساعيه عقب الهزيمة فى مسألة محاكمة عرابى ورفاقه، ويستمر فى اهتمامه بعد صدور حكم النفى عليهم ، فيرسل الى برودلى مستعرضا سوء حالة المنفيين المالية ، وأن جنيها مصريا واحدا فى اليوم لا يكفى للفرد منهم وعائلته ، وأنهم كانوا أصحاب ممتلكات صادرتها الحكومة المصرية ، ويتناول قيمتها ، ويبين أن الاقرار أو التعهد الذى أخذ عليهم تم فى ظروف صعبة ، بل ان محاكمتهم وصدور الحكم عليهم كان قاسيا ، ويرى أن تعمل بريطانيا على حسن معاملتهم وأن تسعى لدى القاهرة لتدبير المال اللازم لمعيشتهم ووسائل راحتهم (٤٦) .

وازدادت صلة المنفيين بصديقهم ، فيسطرون له ليبلغوه بأخبارهم ، فيبعث طلبة عصمت ببرقية اليه يعلمه بمرضه وبما رآه الأطباء بشأن انتقاله الى بلد جاف (٤٧) . وقد مثلت المراسلات المتبادلة بين عرابى وبلنت أهمية ، فرغم أنه فرض على الأول ألا يتدخل فى الشئون السياسية ، لكنه راح يرد على خطابات الثانى ، وتعرض فى كتاباته لما هو محظور عليه ، حيث استرجع الحوادث منذ مذبحة الاسكندرية وتلون درويش باشا ورشوة الخديوى له ، وموقف الأخير ، والحزب المعارض للثورة ، ودور محمد سلطان وعمر لطفى ، والأوقات العصيبة التى مرت بها مصر ، وتلك الاتصالات التى أجراها — عن طريق صابونجى — لابلاغه بالسعى لدى جلادستون قبل ضرب بريطانيا للاسكندرية بأيام (٤٨) . وربما كان طرق مثل هذه الموضوعات واسترجاع الذكريات تريح من نفسية زعيم الثورة الذى غلب على أمره .

ومع خريف العام الأول للنفى ، عقد بلنت العزم على اللقاء بالمنفيين ، فأرسلت زوجته الى الخارجية البريطانية تطلب التصريح لزوجها بالسفر الى كولومبو لمقابلة عرابى ورفاقه (٤٩) . ووافقت لندن ، ولما كانت شخصية الزائر محببة الى قلوب الشرقيين نظرا لما يسطره سجله من مواقف متعاطفة معهم ، قدمت الطلبات من قيادات الجماعة الاسلامية فى سيلان للتصريح باقامة أقواس النصر مكان

رسو الباخرة التى تقله ، وفى الشوارع العامة كما يجرى عند قدوم عضو من الأسرة المالكة البريطانية ؛ وحين وصول حاكم جديد للجزيرة ، ويبعث دوجلاس الى وزير المستعمرات بالأمر ويبلغه بأنه لم يوافق على التصريح لهم بذلك ، ويعتبره اجراء مضادا لاتجاه السياسة العليا ، ويبين أنه سيعالج الموقف بطريقته حيث يشير الى الشعور الاسلامى المتعانق فى هذا الصدد (٥٠) .

ولم تمنع معارضة نائب الحاكم وفود المسلمين المتعددة من استقبال بلنت الذى وصل الى كولومبو فى ١٩ أكتوبر ١٨٨٣ . ويعطى دوجلاس لوزير المستعمرات وصفا لهذا الاستقبال (٥١) . ويذكر عرابى أنه ورفاقه استقلوا زورقا وذهبوا به الى الباخرة المقلة لصديقهم وزوجته وكان بصحبتهما صابونجى ، وعندما وصل الجميع الى البر تكاثرت الجموع مما تعثر معه السير حتى المركبات لولا تدخل البوليس ، وصاحبه الأصدقاء الى مقر اقامته ، وعلى طول الطريق كانت التحيات تحيط الركب من كل جانب ، وأعد له عرابى مأدبة حضرها عدد كبير من الشخصيات ، ألقى فيها أحد المحامين السيلانيين المسلمين خطبة ؛ فأشاد بالضيف وانتصاره للعدل والحرية ومدافعته عن واجب الانسانية وفى حفل آخر أقامه المسلمون تكريما له ، ألقى خطبه أثنى فيها على كرم مسلمى سيلان وحسن احتفائهم وعنايتهم باخوانهم المصريين شهداء العدل والحرية والدفاع عن وطنهم (٥٢) .

ويكتب نائب الحاكم الى دربى مشيرا الى مقابلات بلنت للمنفيين ، وجلساته مع محمود سامى ، ثم ينقل دوجلاس ما دار من حديث بينه وبين الضيف ، وأنه سأله عن انطباعاته عن المنفيين فعلم منه أنه وجدهم فى راحة وأن حالتهم أصبحت أحسن عما رآهم فى مصر ، وينهى رسالته بأن بلنت سيغادر سيلان فى غضون أيام متجها الى الهند لزيارة بعض المدن فيها ، وأنه أبلغ الهند سرا بالمعلومات التى حصل عليها منه (٥٣) .

ويرفع مفتش عام البوليس تقريرا وافيا عن أحداث الزيارة موضحا مدى الارتباط بين المنفيين وبلنت ، فيبدأ ببيان أهمية شخصية عرابى ومحمود سامى ، والمراكز التى كانا يشغلانها أثناء الثورة ، وأنهما حتى أثناء النفى يعتبران الزعيمين ، ولكنه يعود ويركز على عرابى ويعده أكثر المنفيين نقاء وأقواهم شخصية ، ثم ينتقل الى وقائع اللقاء الرسمى الذى حضره المنفيون ، فيسجل أن محمود سامى وقع أولا وتبعه عرابى وباقى المنفيين ، وعند الدخول عقب التوقيعات اتبع نفس النظام ، وبالتالى فقد شغل محمود سامى المقعد الرئيسى مما جعله فى المقدمة ، ويصف كامبل شعور الحب الذى انتاب أعضاء الجماعة الاسلامية لبلنت وكيف أنه نابع من قلوبهم لدفاعه المشهور عن المسلمين ، وعرج على وصف استقبال بلنت وزوجته — أثناء اقامتهم — للمنفيين واعتبارهم كضيوف عظماء ، كما دون كلمات المنفيين عن صديقهم التى أظهرت تعاطفه معهم وما بذله من مساعى لانقاذ حياتهم ، وأنه ذو شخصية لها وزنها لديهم (٥٤) .

وينقل مفتش عام البوليس تصريح بلنت الذى أدلى به بأنه لم يكسب أكثر مما كسب فى قضية عرابى ورفاقه ، أيضا يعرض تحليلاته عن شخصيتهم من واقع رأيه الشخصى وحكمه عليهم ، اذ يقول ان عرابى شخصية لا تشوبها أية شبهات ، ومحمود سامى رجل أصيل ، والخمسة الباقون لم يكن لهم دور أكثر وضوحا فى الحركة العرابية عما قام به آخرون كثيرون ، وأن لعرابى تأثيرا كبيرا على عقول المصريين ، وهو مخلص لوطنه ومحب لبلده ، وكان يعمل لها ومن أجلها ، ونجح فى اقناع الناس بمختلف طبقاتهم بمبادئه ، وأن ما يتمتع به من العمق الدينى والسياسى وثقله فى المجتمع مكنه من توحيد جميع القوى فى كتلة واحدة تعمل لهدف واحد ، وينتهى بلنت الى أن الخديو ضعيف وغير صالح ، ولن يبقى أكثر من سنتين ، وفى هذه الحالة ستخمد المعارضة ويعود المنفيون الى بلدهم ويتولى عرابى رئاسة الوزراء (٥٥) . وبذلك

أعطى بلنت هذه الصورة البراقة ، وما لبث أن غادر مع مرافقيه الجزيرة الى الهند ، واحتفى بتوديعه بنفس الطريقة التى استقبل بها (٥٦) .

ووضـــح اتجاه بلنت حيال امكانية حياة سياســية جديدة يحياها المنفيون بعد رجوعهم الى مصر ، وقد أكد ذلك خطاب بعث به الى عرابى فى ٢٦ أبريل ١٨٨٤ يبلغه فيه أن أمل العودة للوطن أصبح أكبر منـــه فى أى وقت مضى ، والسبب يرجع أولا الى أن العناية الالهية تريد علو الحق دائما ، وثانيا أن الحكومة البريطانية وجدت نفسها فى مصر أمام صعوبات كبيرة ، فى مقدمتها اضطراب الحالة المالية ثم مســألة المهدى ، وبالتالى أصبحت شديدة الميل للجلاء عن مصر ، وترى أنـــه لابد لها قبل تلك الخطوة من أن تقوم فى مصر حكومة ثابته وأمير يستطيع أن يكون على اتفاق مع ثائر السودان ، ولهذا فمن المحتمل أن تتخلى عن توفيق لعدم قدرته على الحكم ، لتضع زمامه فى يد غيره قبل جلاء قواتها عن مصر (٥٧) .

ويبين بلنت لعرابى الخطر المحيط بجوردن فى الخرطوم والذى يجبر الحكومة البريطانية على الوصول لاتخاذ قرار سريع ، وأنه قد اقترح عليها أن يذهب كمبعوث للمهدى للحصول على السلام ، ولانقاذ حياة جوردن ، وفى حالة قبول اقتراحه لابد من موافقتها على خطته بشأن وجود حكومة صالحة فى مصر ، ويضع بلنت أمام عرابى عـــدة تساؤلات واستفسارات ، فيطلب منه صراحة الشروط التى تمكنه من العودة مع رفاقه الى مصر ، وأنه يعلم أن فى استطاعته قبول العمـــل مع حليم باشا ، ويتطرق الى مدى موافقته للعمل مع الخديو السابق اسماعيل ، ويذكر أنه تلقى رسائل منه فى مرات عديدة ، وأن أصدقاءه حدثوه عن أنه وعد بالعمل مع عرابى اذا عاد للعرش ، ويعود بلنت ليقف من المرسل اليه على امكانية تصديق هذا الوعد ، ويشير الى اقتراحه — فى أية حالة — بأن قيادة الجيش ســوف تكون من نصيبه (٥٨) .

وبعد ذلك العرض ينتقل بلنت الى رغبته فى معرفة ما اذا كان هناك أى أمير من بين أمراء المسلمين يرشحه عرابى ويقبل العمل معه ، ويركز على الهدف الأساسى ، وهو أن يكون فى مقدور الحاكم الجديد عقد السلام مع المهدى ، ثم يبين أن السياسة دائمة التغيير ، وما هو صحيح اليوم قد لا يكون صحيحا فى الغد ، وما عرض بالأمس محتمل قبوله بعد ذلك ، وأخيرا يصرح له أنه من الضرورى طرح رأيه على المؤتمر الجارى عقده ، ويطلب منه أن يحرر له أفكاره وأفكار رفاقه ، وأنه اذا عقد النية على العودة لمصر لتقلد منصب الوزارة تحت حكم اسماعيل ، فيبرق اليه بكلمة « مقبول » ، واذا كان العكس تكون الكلمة « مرفوض » ، ويعود بلنت ويؤكد لصديقه أنه لا يعنى أن تكون هناك صداقة تربطه باسماعيل ، وانما كل ما يهدف اليه معرفة رأيه الحقيقى عن قدرته للعمل معه (٥٩) .

ويأتى رد عرابى على بلنت فى ٢ يونيو ، ليسجل أن اسماعيل شخص مخادع وصاحب سمعة سيئة لانعدام أمانته ، وأنه السبب لما حاق بمصر من انهيار ، وأن الدين الذى يخنقها يرجع الى أفعاله ، ولا يوجد من بين الأسرة المالكة من لديه المؤهلات المطلوبة لتولى العرش ، ولكنه يشير الى امكانية تولى حليم باشا الحكم ، ويحلل أحقيته فى أنه الوريث المباشر لمحمد على ، ويلقى الترحيب من المصريين ، وتعرض لمحن جسيمة لفترة طويلة ووقع عليه الظلم ، وأخيرا يصل الى بيت القصيد ، بامكانيته عقد معاهدة بين المهدى والحكومة المصرية ، ثم يبين لصديقه أنه فى حالة اعتزامه الذهاب الى المهدى ، فعليه أخذ بعض الخطابات المختومة بخاتمه لاستخدامها كدليل على أنه صديق مخلص للعالم الاسلامى ، وأنه كان الواسطة التى أنقذت حياته وحياة رفاقه (٦٠) .

ومعروف أن بلنت كان على صلة بالمسئولين ، وقد يكون مثل هذا الاتجاه عرض على بساط البحث ، وخاصة أن الثورة المهدية أقلقت

مضاجع بريطانيا ، وكانت شغوفة على اخمادها بأية صورة ، أيضـــا سبق أن وضح خشيتها من وجود صلة بين عرابى والمهدى ، ولـــكن سرعان ما أوصد هذا الباب بانتصارها • ولم تضـــم الوثائق بعد ذلك أية اشارة لارتباط عودة المنفيين بانخراطهم فى الحياة السياسية ، حيث اقتصر نشـــاط بلنت على السعى وبذل المجهودات لاسقاط حكم النفى والعفو عن عرابى ورفاقه كما سيتبين فى حينه (٦١) •

ومثلت شخصية برودلى ثقلا فى علاقة المنفيين بغير المسئولين من البريطانيين ، وهو أحد المحاميين الرئيسين اللذين توليا قضية الدفاع عن عرابى ورفاقه ، ومن المسلم به أن تنشأ عاطفة بين المتهم والوكيل للدفاع عنه أمام المحكمة ، اذ يغمر الأول الاحساس بأن حياته قـــد وضعها بين يدى محاميه ، وبالتالى فالأخير يقوم بمهامه مدققا فى كل كلمة يحملها القانون وباحثا عن كل ثغرة ينفذ منها لينقذ موكله •ومما لاشك فيه أن برودلى أدى دوره بكفاءة ، حقيقة كان الحكم متفقا عليه ولم يتطلب الأمر شروحـــات قانونية ، لكنـــه كسر من الجمود وخفف عن المسجونين وتمكن من اقامة جسر من الصداقة استمر حتى النهاية ، وبطبيعة الحال كان عرابى ورفاقه وهم فى حالة من الضـــعف والهوان فى أشد الحاجة لمن يقف بجوارهم فى ذلك الوقت العصـــيب ، ووجدوا فى برودلى اليد المخففة لآلامهم ، وقد لازمهم طوال الفترة التى قدموا فيها للمحاكمة الى وداعهم وقت الرحيل •

وقد تبين من خلال المراســـلات التى جرت بين المنفيين وبلنت أن عرابى نال الحظ الأوفر منها ، ولكن اذا نظرنا الى الخطابات المتبادلة بينهم وبين برودلى نجد هناك اختلافا ، فالسبعة كتبوا له ، بالتالى يرد عليهم ، فلم يكد يمر شـــهر حتى يتسلم كل طرف خطاب من الآخر ، وأحيانا كانت الخطابات جماعية ، واعتبرت صورة حية لمعيشـــتهم ، حيث سطرت الظروف التى عاشوا فيها • ومما يذكر أنهم كانوا سعداء لتعلمهم اللغة الانجليزية ليكتبوا له بها ، ومن الملاحظ أن الخطابات التى

وصـــلته فى الفترة الأولى كانت باللغة العربية ، ثم أصبحت باللغــة الانجليزية ، ومن خلالها نلمس الحب الذى جمعهما ، والمجاملات التى حرص عليها الطرفان ، فيتبادل الجميع الصــور بينهم حيث يعتبرونها تنوب عن المشـــاهدة ، وعندما يقوم برودلى بنشر مؤلفـــه المتضـــمن الدفاع عنهم ، تتوافد عليه خطابات الشكر منهم (٦٢) •

وتتضـــح الســـمة الخاصـــة بأن المنفيين لا يزالون يعتبرون أن محاميهم قادر على استرجاع ممتلكاتهم — على أساس أن الحكم الصادر بالنفى لم يدرج به ما يتعلق بالتجريد منها ، وأن من ســـبق وحكم عليه بنفس الحكم حفظت له أملاكه — وتسوية أمورهم المالية الخاصة بالديون، واسترداد نياشـــينهم ، والســـعى للافراج عنهم لدى المسئولين فى لندن ، كما يشكون حالهم وفاقتهم ، ويبسطون أمامه طلباتهم (٦٣) • وقد انفرد عرابى بتسطير الكلمات الخاصـــة بالحالة السياسية ، فبين أن المنفيين لم يقترفوا اثما وانما دافعوا عن بلادهم ، وأنهم ليسوا بأشقى من باقى المصريين الذين غمسوا فى بحر المظالم ، وينتقد الأوضـــاع القائمة فى مصر وكيف أنها تقلقه وتزعجه ، ثم ينقل آراءه فى الاصلاح، وتدور حول النقاط التى سبق أن كتبها أثناء وجوده بسجن الدائرة السنية وسلمها برودلى الى دفرن (٦٤) ، وفى ذلك وقفة مع نفســـه ازاء البرنامج الذى كان يأمل تنفيذه عنـــد نجاح الثورة • وبديهى أن السلطات المسئولة كانت على بينة من تلك المراسلات بناء على سياسة الرقابة ، ولم تجد فيها ما يشكل خطرا عليها ، وعليه استمرت ولـــم توقف •

وبجوار بلنت وبرودلى ، هناك شخصيات بريطانية عابرة ، فيتردد اسم دلاور ، تلك الشخصية التى قدمت المساعدات مع بلنت أثنـــاء المحاكمة ، ومن ثم فلم ينس عـــرابى فى كلماته الى برودلى أن يبعث بسلامه وتحياته لصاحبها واصفا اياه بنصير الانسانية (٦٥) • أيضـــا شكلت اللقاءات الصـــحفية التى حرص عليها عرابى مع الصـــحفيين

الانجليز عند زيارتهم للجزيرة قناة اتصال ساعدت على عرض قضـية المنفيين على الرأى العام (٦٦) •

أما داخل جنة آدم ، فقد توثقت العلاقة بين بعض المنفيين وبين توماس ليبتون T. Lipton صاحب مزارع الشـاى الذى وجه دعوتـه اليهم عام ١٨٩١ ، فلباها عرابى وعـلى فهمى بهدف التغيير ، فمنطقة المزارع جبلية مرتفعة وذات مناخ ملائم ، وسمحت السلطات البريطانية بتلك الزيارة محاولة منها لامتصاص ضيق المنفيين والحد من الشكوى الخاصة برطوبة وحرارة كولومبو • وأرسـل صاحب الدعوة وكيلين لمرافقة الضيفين ، اللذين استمتعا بالطريق حتى وصلا الى المنطقة حيث التقيا بالمسلمين وزارا مسجدهم ، ثم نزلا فى ضيافة ليبتون فترة عادا بعدها الى مقرهما (٦٧) •

ومن المسلم به أن هذا التحرك رصد جيدا ، كما أن تلك العلاقة التى ربطت عرابى بذلك الرجل البريطانى أثارت بعض القلق ، فحينما نشرت الصحيفة السيلانية Over Land Times أنه عند سفر ليبتون ، وقبل صعوده للباخرة كان عرابى فى وداعه مما سـاعد على اذاعة صـيته ، سـأل ابراهام Abraham عضو البرلمان وزير المستعمرات عما اذا كان قد بدا من عرابى أى تجاوز أو تمادى فى اساءته لاستعمال الامتيازات الممنوحة له ، وهل من الممكن انتقاصها أو وضع نهاية لحجزه فى سيلان ؟ (٦٨)• بمعنى الحد من تحركاته أو اطلاق سراحه • وهكذا يتبين أن العلاقة التى ربطت بين الانجليز والمنفيين اتخذت أنماطا متعددة ، اذ سـعى كل طـرف فيها — بطريقته الخاصة — الى تنفيذ سياسـته وتحقيق أهدافه من منطلق الامكانيات التى يمتلكها •

هوامش الفصل الثانى

(1) F.O. 78/4267, F.O — Colonial Office, F.O, Jan. 12, 1883.

(2) Ibid, Declaration May 2, 1883, Dufferin — F. O, Cairo, June 5, 1883.

(3) Ibid, Longden — Derby, kandy, Jan. 21, 1883.

(4) Ibid.

(5) Ibid, Downing Street — The Under Secretary of State (F.O.), Feb. 20, 1883.

(6) Ibid, Downing Street — F.O, Dec. 11, 1883.

(7) Ibid, F.O. — Colonial Office, March 8, 1883.

(8) Ibid, Douglas — Derby, Colombo, Oct. 29, 1883.

(9) Ibid, Downing Street — F. O, Dec. 11, 1883.

(10) F.O. 78/4268, Campbell — Gordon, Colombo, Aug. 27, 1883.

(11) Ibid, Gordon — Derby Colombo, Dec. 19, 1883, Cambell's Report, Dec. 3, 1883.

(12) Ibid.

(13) Ibid, Campbell — Governor of Cylon, Colombo, March 1884.

(١٤) احمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٦٠ .

(15) F.O. 78/4267, Longden — Derby, kandy, Jan. 21, 1883, Downing Street — Under Secretary of State (F.O.), Feb. 20, 1883.

(16) Ibid, F.O — Colonial Office, March 8, 1883.

(17) Ibid, Dufferin — Granville, Cairo, April 16, 1883, No. 119.

(18) Ibid, Downing Street, May 9, 1883.

(19) F.O. 78/4268, Gordon — Derby, Colombo, Dec. 19, 1883, Campbell's Report, Dec. 3, 1883.

(20) Ibid, Gordon — Derby, April 11, 1885.

(21) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, May 27, 1885.

(22) F.O. 78/5176, F.O, June 30, 1897.

(٢٣) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٦٠ . كذلك فاتح بلنت عرابى فى الطريق الذى يمكن اتباعه لانهاء ثورة المهدى ، كما عرض عرابى وساطته فى هذا الشأن كما سيتضح عند تناول الحديث عن العلاقة مع بلنت .

(24) Arabi — Anne Blunt, Colombo, March 2, 1885 in Blunt : Gordon At Khartoum, pp. 548, 549.

(25) Ibid.

(26) Chaillé — Long — Bey : Les Trois Prophetes : le Mahdi, Gordon, Arabi, pp. 257, 276.

(27) F.O. 78/4589, Pall Mall Gazette, Jan. 27, 1892.

(٢٨) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٩٥ .

(٢٩) نفس المصدر ، ص ص ٦٩٦ ، ٦٩٧ .

(٣٠) نفس المصدر .

(31) Ninet, J : Arabi Pacha, pp. XVII, XVIII.

(٣٢) عبد الله النديم ، المصدر المذكور ، صص ٢ — ٧٥ .

(٣٣) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٥٨ .

(34) F.O. 78/4267, Longden — Derby, Kandy, Jan. 30, 1883, No. 41.

(٣٥) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، صص ٦٦٣ ، ٦٦٤ .

(36) Broadley . op. cit., Vol. III, The Out Look, Sept. 30, 1911.

(37) Ibid,

خطاب من عرابى الى برودلى فى ٢٢ ديسمبر ١٨٨٥ .

(38) Ibid, The Graphic, Sept. 30, 1911.

(39) F.O. 78, Op. Cit., Longden — Derby, Colombo, July, 1883.

(40) Broadley : Op. Cit., Vol. III, The Daily Graphic, May 27, 1901, The Out Look, Sept. 30, 1911, Budport News, Oct. 15, 1911,

أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٦٠ .

(٤١) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٦١ .

(٤٢) انظر الفصل الرابع .

(43) F.O. 78/4589, Ledivant — Colonial Office, Bangalore, Dec. 3, 1890.

(44) F.O. 78/4268, Greogorey — Derby, Hyde Park Corner, May 30, 1884, F.O — Colonial Office, F.O, July 24, 1884, F.O — Greogory, F.O, Dec. 1st, 1884.

(45) Broadley : Op. Cit., Vol. III., The Daily Graphic, May 27, 1901.

(46) F.O. 78/4267, Blunt — Broadley, Sussex, June 6, 1883.

(47) Ibid, Toulba Esmat — Blunt, Colombo, May 14, 1883.

(48) Letter Received in London, Aug. 14, 1883 from Arabi, Dated Colombo, July 7, 1883, Letter From Arabi To Blunt, Colombo, Nov. 10, 1883 in Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, pp. 537, 543.

مما يذكر أن عرابى كان يراسل أيضا صابونجى — محرر صحيفة النحلة وصديق بلنت واستخدم كمبعوث خاص له لدى العرابيين — بناء على مراسلته له ، وقد استعرض أحداث الثورة وما تعرض له الجنود المصريون أثناء الحرب وكيف أغدقت عليهم التبرعات من كافة عناصر الأمة .

Letter Received Aug. 14, 1883, From Arabi To Sabunji, Op. Cit., p. 541.

(49) F.O. 78, Op. Cit., F.O — Colonial Office, Oct. 24, 1883.

(50) Ibid Douglas — Derby, Colombo, Oct. 11, 1883.

(51) Ibid, Oct. 29, 1883.

(٥٢) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، صص ٦٥٨ ، ٦٥٩ .

(53) F.O. 78, Op. Cit., Douglas — Derby, Colombo, Oct. 29, 1883.

(54) F.O. 78/4268, Gordon — Derby, Colombo, Dec. 19, 1883, Compbell's Report, Dec. 3, 1883.

(55) Ibid.

(٥٦) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٥٩ .

(57) Blunt — Arabi, London, April 26, 1884 in Blunt : Gordon At Khartoum, p. 544.

(58) Ibid.

(59) Ibid, pp. 544, 545.

(60) Arabi — Blunt, Colombo, June 2, 1884 in Blunt : Gordon At khartoum, pp. 547, 548.

من المعروف أنه جرت مساع للامير حليم والخديو اسماعيل من أجل عرش مصر أثناء الثورة العرابية ، وبينما أيد القادة الثوار الأول لفظـوا الآخر .

(٦١) أنظر الفصل الرابع .

(62) Broodley : op. cit., vol. II.

(63) Ibid, Vol. II, III.

من الطريف أن خطابات بعض المنفيين تبدأ بنداء « صديقى العزيز وروح حياتى مستر برودلى » .

(64) Ibid, Vol. II, Arabi — Broadley, Colombo, Dec. 8, 1883,

أهم هذه الاصـلاحات ، أن تكون مصر للمصريين لا ملكا لشخص واحد أو عائلة واحدة ويتحول أهلها الى عبيد ، وينتخب الوالى — بمعرفة رؤسـاء الأمة — من الذين حسنت سيرتهم من المصريين ويكون عالما فاضلا عفوفا

محبوبا مقيدا بالقوانين ومنفذا لها ، وينتخب مشايخ القرى والبلدان بمعرفة الأهالى الذين اشتهروا بالطهارة وحسن المعاملة ، ويشكل مجلس نواب لعرض اللوائح والقوانين عليه وواجبه حفظ حقوق الأمة وتطبيق قاعدة المساواة فى الضرائب بين السكان قاطبة ، ويوضع حد للمرابين الذين يسلبون الأهالى ، وتبطل السخرة ، وتلغى المحاكم المختلطة ، وتوحد القوانين القضائية ، ويكتفى بالموظفين الأجانب بقدر الضرورة ، وتترك السودان للمهدى بشرط تبعيتها لمصر وتدفع خراجا سنويا ، وتحفظ قناة السويس بكفالة جميع الدول الموقعة على معاهدة برلين وفى مقابل تنازل مصر عن حقوقها تعوض بمبلغ كاف لتسديد ديونها ، ويخفض الدين المصرى وفائدته ، ويخفض وركو الآستانة ، وتسهل المعاملات التجارية مع الدول ، وتعدل الضرائب وفقا لحالة الأراضى ، وينتهى عرابى ببعض الاصلاحات الخاصة بالمقابلة وديون الأهالى .

(65) Ibid, Vol. III, Arabi — Broadley, Colombo, June 10, 1883.

(66) Ibid, The Daily Graphic, May 27, 1901.

(٦٧) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، صص ٦٦١ — ٦٦٣ .

(68) F.O. 78/4589, Parlimentary Question, W. Abraham, Jan. 27, 1892.

الفصل الثالث

الحياة فى جنة آدم

مثلت حياة المنفيين فى جنة آدم صورة حملت بين طياتها البؤس والشقاء والضياع ، حيث أحيطوا بظروف مادية ونفسية ومرضية صعبة ، انعكست على تصرفاتهم وعلاقاتهم ، ولم تثمر أية مجهودات للتحسين من أوضاعهم الا بالنزر اليسير ، وتعثرت رغباتهم وحيل دون تحقيقها ، ورغم ذلك لم يصمتوا ، وانما مضت توسلاتهم للخروج من الجنة ، وواصلوا المساعى من أجل العودة الى مصر ، لكن الرافضين أصروا على موقفهم •

كانت للحالة المالية لعرابى ورفاقه دورها فى جفاف وقسوة الحياة فى المنفى ، فبعد صدور الأمر الخديوى فى ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ بمصادرة أملاكهم ، رفعت مذكرة من نظارة المالية لرئاسة مجلس النظار بشأن ترتيب معاش لكل منهم يبلغ ٣٠ جنيها بالروزنامجة ابتداء من ٢١ ديسمبر ، وأن تتولى النظارة توصيله ، وتمت الموافقة ، وصدر قرار مجلس النظار فى هذا الصدد فى ١٥ فبراير ١٨٨٣ [١] • وسافر المنفيون ، وفى أول لقاء لهم مع حاكم سيلان ، طلبوا العمل على رفع المبلغ المسموح به لهم الى ٥٠ جنيها حيث ان المقرر لا يفى بأعبائهم رغم التقشف الذى يعيشون فيه ، ويبلغ لونجدن وزير المستعمرات بالطلب وبأنه أفهمهم أن يضعوا فى الاعتبار دفع ايجار المنازل التى يقطنونها عند حلول ميعاد الاستحقاق ، ثم يعلق بقوله « وانى أرى فعلا أن هذا المبلغ غير كاف خصوصا لأصحاب العائلات الكبيرة مثل على فهمى ، وأوصى بالعمل على رفعه ببحث الأمر مع الخديو » [٢] •

ويبعث عرابى للحاكم بخطاب فى هذا الشأن ، فيرفعه الى وزير المستعمرات الذى يرى أن الطلب معقول ، ويطلب مخابرة الحكومة المصرية فى زيادة المعاش بمعدل ٢٠ روبية يوميا [٣] • ويرسل وزير

الخارجية لدفرن للاتصال بالمسئولين المصريين وتحقيق المطلوب ، ويلتقى المبعوث البريطانى برئيس النظار ويعرض عليه الأمر ، فيبين له سوء الحالة الاقتصادية مما حدا بالحكومة الى الاستغناء عن عدد من موظفيها ليس لديهم مورد غير مرتباتهم ، وأن المبلغ الذى يرسل للمنفيين سنويا ، بالاضافة الى ما تدفعه الحكومة كفرق تحويل العملة يكلفها الكثير ، وأن أى زيادة تدرج فى الميزانية تؤدى الى حرج مركزه ومركز زملائه ، وما لبث أن توصل دفرن الى حل وسط ، وذلك بأن ترسل الحكومة مبلغ ٥٠٠ جنيه اضافية الى حاكم سيلان يقوم بتوزيعها عليهم وفقا لما يراه (٤) • واجتمع مجلس النظار وقرر تلك المنحة السنوية فى ٢٨ مايو ١٨٨٣ بحيث يوزعها الحاكم حسب احتياجات كل منهم ، وورد بذلك اخطار الى نظارة المالية ، كما تقرر احتساب المبلغ من الاحتياطى الوارد فى الميزانية (٥) •

ووضح تعاطف لندن فى هذه المسألة ، وكانت قد رأت قبل صدور قرار مجلس النظار بأيام ، ضرورة تصرف الحكومة المصرية ، ليتمكن المنفيون من مواجهة المعيشة مع أسرهم ، وحتى لا يتعرضون لأزمات مالية تكون دائما موضع شكواهم لدى الحاكم ، كما أشارت الى أنها تقصد العمل على راحتهم ، هذا فى الوقت الذى طلبت فيه أن تتحمل حكومتهم ايجار المنازل المؤقتة التى سكنوا فيها وثمن أثاثها دون الخصم من معاشاتهم الشهرية ، كما لمحت بأن ذلك لن يقوى من شكيمتهم ، وأنهم لايعتبرون خطرا عليها خلال اقامتهم فى سيلان (٦) • وذلك بعد أن أمنت نفسها •

ونشأت مشكلة ، وتعقدت الأمور بخصوص توزيع المنحة ، ومما يلاحظ أن عرابى حصل على نصيب الأسد منها ، فقد خصص له ١٨ جنيها ، ٧٥٢ مليما (٧) ، فهل كان هناك حرص على ارضائه بمنحه هذا المبلغ دون الآخرين رغم أن غيره كان يعول أكثر منه ، وهل جاء ذلك نتيجة لتوصية ؟ لقد أشار دوجلاس فى خطاب له لوزير المستعمرات

بأن هذه الزيادة بناء على موافقة الحكومة المصرية ، وربما وضـــع فى الاعتبار أنه رئيس الجماعة وعليه التزامات فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية الجديدة وما تتطلبه من مصروفات ، وأصبح المبلغ المتبقى حوالى ٢٧٥ جنيها ، ويذكر نائب حاكم سـيلان لدربى أن مسألة التوزيع ليسـت سهلة ، لأن المنفيين يشـكون من الفقر ومصـادرة أملاكهم ، وأن من معه عدد صغير من أسرته يبين أن وراءه عددا آخر مسئولا منه فى مصر ، ثم يعرض عليه المعلومات التى جمعها ، وهى توضـح أن زوجتى محمود سـامى وعـلى فهمى لهما ممتلكات تسمح لهما بالعيش ، وأن يعقوب سامى ميسور الحال ، أما محمود فهمى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى فليس لديهم الا معاشاتهم ، وعليه فقد خصص لهم المبلغ المتبقى بعد أن حجز منه ١٧ جنيها للطوارىء (٨) .

وولد هذا الوضع مرارة بينهم ، وتظلم يعقوب سامى معتمدا على أساس أنهم جميعهم فى المنفى سواء ، وكلهم يعتبرون فقراء ، ولابد من معاملتهم بالتسـاوى ، وتبعه من شعر أن الظلم وقع عليه (٩) . ورفع الأمر الى لندن ، فأشارت بأنه بعد تخصيص المبلغ المقـرر لعرابى من المنحة ، تطبق المساواة على الباقى ما عدا محمود سامى حيث لا يستحق رفع معاشـه لأن ايراد زوجته فى مصر ٣٠٠٠ جنيه ، وأنه اذا تظلم أحد من الخمسة ، فعليه اثبات دخل الباقين حتى يمكن تمييزه عنهم (١٠) . وانتهى الأمر بأن تمتع بالزيادة ثلاثة منهم فقط ، لكنهم عادوا ووافقوا على التنازل عن مبلغ من الروبيات لزملائهم ليتساووا معهم ، ورفض عرابى اعطاءهم جزءا من الزيادة التى خصته (١١) .

وعلى أية حال ، فان تلك الزيادة قد أثارتهم أكثر مما نفعتهم ، وظل باب الشكوى مفتوحا ، وتعددت التظلمات من طلبة عصمت ويعقـوب سـامى وعلى فهمى ، ويبين الأخير أنه يعول ١٤ شخصا مقيمين معـه ويتحمل مصاريف المدارس التى تصـل الى ١٩ جنيها شـهريا ، وأن

ما يتبقى له لا يكفى للغذاء والمعيشة والعلاج [١٢] ، خاصة وأن مرض زوجته كلفه الكثير • ويبعث طلبة عصمت الى لابوشير Labouchere — عضو البرلمان البريطانى — ليصف له سوء حالته المعيشية ويطلب رفع معاشه ، فيكتب العضو الى وزارة المستعمرات ، ويعرض وجهة نظره التى تضمنت وجوب رفع الحكومة المصرية لما يتقاضاه المنفيون ، حتى يتمكنوا من المعيشة ، ويغطوا النفقات المطلوبة منهم خاصة وهم مسئولون عن عائلاتهم ، وأنهم كانوا قادة فى بلدهم وأرسلوا الى سيلان بواسطة بريطانيا ، وبالتالى ليس من المعقول أن يعطوا منحا لا تكفيهم ، وأن هؤلاء الرجال سوف يعودون الى بلدهم ان عاجلا أو آجلا ، ولذا فلابد أن يكون البريطانيون أصدقاء لهم [١٣] •

ووضعت جميع مكاتبات المسئولين البريطانيين المتعلقة بسوء الحالة المالية للمنفيين أمام جرانفل ، وكلها تؤيد التظلمات المرفوعة منهم ، وبعد دراستها رأى وزير الخارجية صعوبة امكان رفع المعاشات مرة ثانية ، وانتهى الى أنه ليس لحكومة جلالة الملكة سلطة التنفيذ ، وأنه يمكن لحاكم سيلان التصرف بحرية فى المنحة ، وأن عليه عمل ما فى وسعه لتلبية رغبات المنفيين [١٤] • ويتضح من ذلك أن الخارجية البريطانية لم تكن لتظهر الرغبة فى الضغط على الحكومة المصرية مرة أخرى ، فى الوقت الذى حملتها فيه أجور البوليس المكلف بحراسة المنفيين والأجور الاضافية للحراسات الليلية وأجور البوليس السرى [١٥] • ومن الثابت أن جرانفل ساق حجة واهية واستند عليها حيث من المسلم به قوة اليد البريطانية على مصر •

ولعبت مسألة الديون دورها فى الشكوى على أساس أنها توصد باب القول بأن زوجات بعضهم أغنياء ، فقد عرض على اللجنة المالية سندات بمبالغ كبيرة محررة من محمود سامى لدائنين من الأجانب ، أيضا لبعض المقربين اليه مثل حماه [١٦] • كما شكا على فهمى وزوجته لبرودلى وطلبا منه التدخل لدى الحكومة لانقاذ نصف المنزل

الذى رغبت فى اشـــهار بيعه بالمزاد اعتمادا على سندات تؤكد حـــق الزوجة فى ديون مستحقة لها على زوجها ، واتضح أن ممتلكاتها امتدت اليها يد الحكومة ، فاستولت على بعض الأراضى والمنازل والمركبـــات الخاصة بها (١٧) • وواصـــل المنفيون طريق الاســتعطاف بالتماساتهم للمسئولين البريطانيين — رئيس الوزراء ووزير المستعمرات وأعضـــاء البرلمان — يستجدون فيها لرفع المبلغ المقرر لهم ويسجلون مصروفاتهم بالتفصيل والضيق الذى يعانونه (١٨) • ومن الملاحظ أن عرابى لم يكن يشترك فى تلك الشكاوى ، والسبب أن ما حصل عليه من زيادة فى معاشه كفل له الحياة دون ضنك •

ومرة أخرى يكتب حاكم سيلان الى لندن ، ويرفق بكتابه التماسات جديدة للمنفيين ، ويذكر أنه وفقا لتحرياته يدلى بالقول أن أصـــحاب الطلب يعيشون أزمة مالية ، وأن هناك من الأسباب ما يدعو الحـــكومة المصرية لزيادة المبالغ التى يتقاضونها لمواجهة أعباء المعيشة (١٩) ، وعرضت وزارة المستعمرات الأمر على الخارجية البريطانية ، فأفادت بأنها ستقوم بالاتصال بنوبار رئيس النظار لزيادة المعاشات (٢٠) • وبالفعل حررت للقنصل البريطانى العام فى القاهرة للتفاهم مع المسئولين فى رفع المبلغ ٤٤٤ روبية — ما يعادل ٤٥ جنيها — شهريا ليوزع عليهم ما عدا عرابى ، مبينة أنها ناحيـــة انســـانية ، وأنـــه لابد من العمل ليتمكن هؤلاء من المعيشة ، ووجوب اتمام هذه الزيادة فى وقت قريب ، ووفقا لذلك فان الحكومة المصرية ستتكلفها الزيادة ٢٥٢ جنيها سنويا علاوة عـــلى المنحة السابقة ، ويصبح المبلغ الذى تتحمله ٣٣٠٧ جنيها سنويا (٢١) •

ولم تنقطع شـــكوى المنفيين رغم ما وعدوا به ، فبعثوا بها الى روزبرى فى مارس ١٨٨٦ (٢٢) • وفى تلك الأثناء أجرى بيرنج Baring المعتمد البريطانى فى مصر اتصالاته بنوبار ، فوافق الأخير على زيـــادة المنحة وفقا لما حددته الخارجية البريطانية ، وأن يقوم حاكم ســـيلان بتوزيعها حسبما يتراءى له (٢٣) • وقدمت اللجنة المالية مذكرتها الى

مجلس النظار فى هذا الشأن ، وتقررت الزيادة [٣٤] • وأبلغ المعتمد البريطانى لندن أنه علم من تيجران ناظر الخارجية بالنيابة أن تلك الزيادة وسابقتها هى منحة دائمة وغير مؤقتة [٣٥] • ووزعت المنحة الجديدة على المنفيين ، ومع ذلك نجد عبد العال حلمى يشكو الفاقة ويبين أن تعليم ابنه يكلفه ١٠٠ جنيه استرلينى سنويا بكلية توماس الانجليزية [٣٦] • وبطبيعة الحال لم يكن هناك أى أمل فى زيادة أخرى •

وبعد مضى ستة أشهر على صرف الزيادة ، فوجىء يعقوب سامى بخصم خمس معاشه — ما يقرب من ٨ جنيهات — فقدم شكواه لمعرفة السبب ، وبعث حاكم سيلان يستفسر مبينا أن استقطاع أى مبلغ من مقررات المنفيين يؤدى الى اضطراب معيشتهم ، وأنه يجب تسليمها كاملة ، وأن أى ديون سابقة على أى منهم فى مصر يجب عدم خصمها من معاشاتهم ، وخاصة أن الحكومة المصرية صادرت جميع أملاكهم ، وما يقبضونه يفى بحاجتهم المعيشية بكل صعوبة ولا يمكن أن يمس بأى حال من الأحوال ، وأن هذا يؤدى الى القاء العبء على حكومة جلالتها التى لن تتحمل دفع أى نفقات تتعلق بهم [٣٧] • وتجيب لندن بالافادة أنه قد تم الاتفاق مع الحكومة المصرية عام ١٨٨٢ على وصول المبالغ كاملة للمنفيين وعدم خصم أى جزء منها لصالح ديونهم فى مصر ، ومن ثم أخطرت القاهرة بذلك [٣٨] •

ووصلت تلك التعليمات مرفق بها عريضة يعقوب سامى ، وعلى الفور التقى بيرنج برئيس النظار فى ١٠ فبراير ١٨٨٧ وعرض عليه الأمر وشرح له الموقف ، وفى اليوم التالى وصله الرد ومرفق به رأى المستشار القانونى للحكومة ، ويتبين منه أن خصم المبلغ كان بناء على حكم صادر ضد يعقوب سامى من المحكمة المختلطة لوفاء دين عليه قيمته ٢٠٠٠ جنيه لصالح الدائن « كاثير وشركاه » ، وأن المحكمة أخطرت البنك مباشرة لاستقطاع المبلغ ، وأنه طبقا للمادة ٤٩٠ من

القانون المدنى المختلط لابد من خصـم خمس معاشه الشهرى ، حيث ان ما يتعلق بأرضـه التى صادرتها الحكومة قد أشهرت بيعها وسـددت جزءا من ديونه واستولت على متطلباتها ، واختتم الرد بأن الحـكومة لا تعتبر مسئولة عن تحمل ديون المنفيين (٢٩) • وأعدت مذكرة فى هذا الشأن للعرض على سولسبرى Salisbury رئيس الوزراء البريطانى ، وذيلت بأن المنحة المقررة للمنفيين تمت باتفاق بين الدولتين ولا يجوز الخصم منها (٣٠) • ونتيجة لذلك صدرت التعليمات للقاهرة باعـادة الاتصـال برئيس النظار لانهاء المسألة لصالح المتضرر ، وبالفعل أصدر أمره ليس فقط بعدم خصـم جزء من معاشه وصرفه كاملا ، بل واعادة الفرق الـذى انتزع منه (٣١) • والواقع أن لنـدن أمكنها التفرقة بين السياسة الاحتلالية والعمل على الظهور بشـكل المتعاطف مع من لا حول لهم ولا قوة • حقيقة أن الأعين راقبتهم ، لكن الحرص على جعـل معيشـتهم دون الكفاف كان محل الاهتمام ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الحفاظ على رباط الصداقة الذى ربطهم بها والتأكيد عـلى الولاء لها وضعا فى الاعتبار •

واستقرت الحالة على الوضع المالى القائم دون قلاقل ، وعندما توفى عبد العال حلمى قررت الحكومة فى ١٩ أبريل ١٨٩١ صرف معاش لزوجته قدره ٣٠ جنيها بناء على التماسها ، وحجزت ما تبقى من نصيبه رغم ميول بعض المسئولين البريطانيين فى توزيعه على باقى المنفيين ما عدا عرابى (٣٢) ، مع العلم بأن مصروفاته زادت نتيجة لزواجـه وانجابه • ومما يذكر أن الطلب الذى تقدم به فى هذا المجال هو ابداء رغبته فى الحاق ابنه ابراهيم بالعمل لدى نظام حيدر أباد راجيا أن يجد الشباب من أولاد المنفيين عملا يتعايشون منه ، مبينا أن ابنه كان فى زيارة لتلك المنطقة ، ووجد فرصته بها ، ثم ينتقل الى أنه يعول عددا كبيرا من الأولاد ويلزم لهم مصاريف من تعليم وخلافه والمعاش الذى يتقاضاه محدود ، ولذا فهو يشـجع كل من يقدر على العمل من أولاده

ليساعده على المعيشـــة ، ويشـــير الى أن خدمة ابنه لن تتعارض مـــع السياسة البريطانية فى الهند ، ويبعث ردجوى Ridgeway حاكم ســيلان للندن ليخبرها أنه حول الطلب الى مفتش عام البوليس الذى لم يـــر مانعا ، وأنه هو نفســـه يزكى مثل هذا العمل ، وعليه فقد أخطر حكومة حيـــدر أباد ، ويطلب الموافقة حتى تتخـــذ الاجراءات لتحقيق طلب عرابى (٣٣) . وبذلك تتضح الظروف المادية التى فرضت نفسها عـــلى هؤلاء الرجال الذين عاشوا يتضرعون من أجل لقمة العيش ، وان تفاوتت الطرق التى استخدموها .

ولم يكن الضيق المالى وحده الذى أحاط بالمنفيين ، فقد أســـهم الوقوف أمام رغباتهم الشخصية فى التعاسة التى عششت داخل حياتهم ، فعند سفرهم لم يصـــطحب الا ثلاثـــة منهم زوجاتهم ، وتركت باقى الزوجات فى مصر ، اما لكون بعضهن كانت حالتهن الصـــحية لا تسمح لهن باسفن مرافقات لأزواجهن ، أو لأنهن لم يعرفن كيف ستكون الاقامة فى سيلان فرفضن ، أو أنهن فضلن انتظار ما ســـيتم بخصوص أملاك أزواجهن (٣٤) . وعندما استقرت الأوضاع ، لم تنقطع طلبات المنفيين بخصوص احضارهن ، فيبعث عرابى الى برودلى مبينا أن الحـــكومة المصرية لم تف بالوعد الذى قدمه دفرن له بارســـال عائلته — زوجته وباقى أولاده — على نفقتها ، لأنه ليست لديه الامكانيات المادية ليتولى مصاريف سفرها (٣٥) ، وفى الوقت نفسه يبلغ دفرن لندن برغبة زوجة عرابى فى اللحاق به بعد شفائها (٣٦) . ويحذو عبد العال حلمى وطلبة عصمت حذو عرابى ، فيقدمان التماساتهما الى حاكم سيلان بطلب احضار عائلتيهما من مصر على نفقة الحكومة المصرية وعدم قدرتهما على تحمل ذلك ، ويرفق لونجدن التماساتهما مع كتاب له لوزير المستعمرات (٣٧) .

وكانت حالة طلبة عصـــمت تستدعى الاشفاق لمرضـــه وحاجته لزوجته لتكون بجواره والتى لم تتمكن من السفر معه لمعاناتها من مرض فى عينيها ، ولذا فقد تركها بناء على نصـــيحة برودلى لـــه حتى يتم

شفاؤها وتلحق به ، وعاشـت فى حالة سيئة اذ لم يتمكن من ارسال أى مبلغ لها ، وبالتالى باعت كل ما تملك لتعيش وتنفق على علاجها [٣٨]. وتبلغ الخارجية البريطانية ممثلها فى مصر ، فيجرى اتصالاته مع وكيل نظارة الخارجية المصرية ، ويعلم منه أن رئيس النظار لا يمانع فى سفر الزوجتين ودفع النفقات طالما أنهما لا تبديان روحا ثورية [٣٩] . وطلبت الخارجية البريطانية من وزارة المستعمرات اعلام المعنيين بالأمر بموافقة الحكومة المصرية بالرغم من أنها كانت قد صرحت للمنفيين باصـطحاب زوجاتهم ، وأن من يتخلف تسقط نفقة سفره ، ولكنها تنازلت عما صرحت به ، أما فيما يختص بزوجة عرابى ، فانه اذا عاود طلب حضـورها اليه ، يتولى دفرن الحصول على تصريح لها بالسفر على نفقة الحكومة المصرية [٤٠] .

وعاود عرابى الطلب ، فتكلم بيرنج مع تيجران ، فأبلغه الأخير أن محمد شريف لا يعارض فى سـفرها ، وعند التنفيذ أبدت الزوجة عـدم رغبتها فى مغادرة مصر [٤١] ، ولا يعـرف السـبب الحقيقى لرفضها . أما بالنسبة لسفر زوجتى عبد العال حلمى وطلبة عصـمت فقد عادت الحكومة المصرية وأرجأته دون ذكر السـبب ، وربما اختص بتكلفة السـفر أو الرغبة فى التعذيب والانتقام ، وكثرت شـكاوى الزوجين وزوجتيهما الى المسـئولين البريطانيين الذين رفعوا الأمـر للخارجية البريطانية التى أخطرتهم بأن الأمر يتوقف على خديو مصـر وحكومته [٤٢] . ومما يذكر أن الاتجاه داخل سيلان كان يؤيد تلبية طلب الزوجين سـواء الحاكم العام أو مفتش عام البوليس ، والأخير رأى فى ذلك اتماما لراحتهما وقضـاء على قلقهما فى مقابل كلمة الشرف التى أعطوها ووفائهما لتعهدهما ، وأنه يمكن ابحار الزوجتين على باخرة نقل خاصة بالجنود [٤٣] .

وألجأ هذا الوضع المعلق الى أن يرفع الزوجان طلبهما بأن يكون احضار زوجتيهما على نفقة الحكومة البريطانية [٤٤] ، وعليه رأى جرانفل

اغلاق هذا الباب فبين أنه سبق وأعطت الحكومة المصرية حق مرافقة الزوجات والأبناء للمنفيين وقت سفرهم [٤٥] • وفى ذلك ما يعنى أنه طالما أضاعوا الفرصـــة ، فعليهم تحمل النتائج • وكانت وجهة نظر وزارة المستعمرات اعادة الاتصال مرة أخرى بالقاهرة للعمل على سفر الزوجتين على نفقة الحكومة المصرية اذا كانت التكلفة معقولة ، وتم التفاهم مع جرانفل على ذلك ، وبعثت الخارجية البريطانية لمثلها بمصر فى هــذا الصدد ، فكتب اليها بموافقة المسئولين المصريين على شريطة تقسيط نفقة السفر وخصمها شهريا من المنفيين [٤٦] • ومن ثم وضعت العقابات أمام تحقيق الطلب •

ومما تجدر الاشارة اليه أنه اتبعت نفس الطريقة عندما شــكا على فهمى من سوء حالة زوجته الصــحية وعدم تحملها الاقــامة فى سيلان والرغبة فى سفرها لمصر ، فحولت الشكوى الى مفتش عــام البوليس ففحصها ، وبناء على ذلك كتب حاكم سيلان تقريره الى دربى موضحا أن ما جاء بالشكوى صحيح ، فالزوجة تعانى من أزمة حساسية Asthama تزداد مع رطوبة كولومبو ، وأن الزوج ليس فى استطاعته تحمل نفقة سفرها أو دفع ثمن العلاج والأدوية بعد أن نفذ ما لديــه ليغطى تلك التكاليف للدرجة التى امتنعت فيها الزوجة وبناتها عن الخروج من المنزل لعدم وجود ما يرتدينه من ملابس صالحة [٤٧] • وكــان جرانفل قد بلغ بتلك الحالة ، ولكنه وجد أن يتحمل الزوج نفقات عودة زوجته [٤٨] • وهكذا تعثر التنفيذ فى هذه الحالات الانسانية ولم تجد التوســلات •

ومثلت الخلافات بين المنفيين عاملا كدر عليهم حياتهم ، فمما لاشك فيه أنه فى ظل الظروف التى تعرضــوا لها قبيل نفيهم ثم تلك التى أحاطت بهم من كل جهة بعده ، قد أثرت على نفسيتهم ، ورسمت لهم صورة اختلفت كثيرا عن الأصل ، فالهزيمة وما تتبعها من أحداث غرست داخلهم الاحباط ، وجعلتهم يؤمنون بالأمر الواقع ويستسلمون لما حاق

بهم ويعيشــون المأساة مما انعكس على علاقاتهم ، فانقسموا عــلى أنفسهم ، وفقدت الوحدة مكانها لديهم • ولم تظهر عليهم الخــلافات فى البداية ، حيث ترجمت الخطابات التى بعثوا بها الى برودلى الحياة اللصيقة التى يحيونها حتى لقد كان منها ما يكتب على لســانهم جميعا ، وعندما كان ينفرد أحدهم بخطاب ، فهو لا ينسى أن يبعث بســلام زملائه ، كما تجمع السبعة حول هدف تعلم اللغة الانجليزية ونجحوا فى ذلك (٤٩) • ولكن بطبيعة الحال لم يستمر الوئام طويلا ، وفرضـت المنازعات نفســها عليهم ، فلم يفتخروا بالبطولات التى قاموا بهــا ، وانما تراجع البعض منهم ، فيصرح محمود ســامى وطلبة عصـمت ويعقوب سامى بأن ما أقدموا عليه كان خوفا من عرابى (٥٠) • وربمــا يكون الدافع الرغبة فى اقصاء ما اتهموا به بعيدا ليتمكنوا من العودة الى مصر •

واتســع نطاق المشاحنات ، وبديهى أن يتعرض عرابى لنقمــة البعض ، حيث دبت الغيرة بســبب تلك المكانة التى يتمتع بها فى سيلان وهذه الشعبية التى أغدقت عليه ، ووقع الخصــام بينهم ، وانتشرت أصداؤه داخل سيلان وخارجها ، وان جرت فى البداية بعض المحاولات للصلح وآتت أكلها حينا حتى لقد كتب بلنت الى عرابى لينقل له سعادته عندما علم أن الأمور عادت الى مجراها كما كانت بينهم وأنهم يعيشون أصدقاء أوفياء (٥١) • ولكن سرعان ما انتهى ذلك ، وجاء زواج عرابى ليخلق بعض الحساسية وترتب عليه حدوث مقاطعة (٥٢) • وينصــح عبد الله النديم عرابى فى رسالته له بالارتباط كى اذا عادوا لوطنهم لا تسىء بهم الظنون وتميل عنهم القلوب « فائتلفوا قبل الاياب ، واقتلوا الضغائن بالعقاب ، وحققوا لمن عندكم ترك العدوان حتى تتركوا لكم ذكرا جميلا فى سيلان » (٥٣) •

وأعطى الاحتفال باليوبيل للملكة فيكتوريا فى عام ١٨٨٧ ـــ العيد الخمسينى لحكمها ـــ المثل للانقســام بينهم ، وشــكل يعقوب سامى

وعلى فهمى ومحمود فهمى مجموعة ، والباقى مجموعة أخرى ، واكتتبت المجموعة الأولى بمبلغ لصـــالح الاحتفـــال أوصلته عن طريق المفتش العام للبوليس ، كما أعدت كلمة بهذه المناســبة سلمت للســكرتير الخاص للحاكم (٥٤) • وبناء عليه خصص لها مكان خاص فى الاحتفال بينما المجموعة الأخرى احتلت المقاعد العادية (٥٥) • وعندما كتبت احدى الصحف عن مشــاركة المنفيين بزعامة عرابى وفهمى ، كتبت المجموعة الأولى اليها توضح أنه لم يكن على فهمى أو محمود فهمى بصــحبة عرابى وأن الثلاثة لم يشــاركوه ، وأن كل واحد مسئول عن تصرفاته الشخصية ، وتطلب من الصحيفة تعريف العامة بعدم استعمال كلمــة عرابى ورفاقه حيث لابد من ذكر الأسماء (٥٦) •

وسجلت الصحافة فقدان التآلف بينهم ، وتعرضــت لمنازعاتهم واعتبرتهم ســجناء وأسرى حرب ، وبينت أنه طالما هم تحت الحراسة ، فينبغى على حكومة سيلان أن تجعلهم معزولين ، وأن تأكيد ولائهم للملكة يمكن القول عنه انه مداراة بدليل أن عرابى لم يعط كلمة للحاكم فى يوم الاحتفال ، وأنه كان من الأفضــل ألا يستعرضوا أنفســهم فى مكان يمثل فيه نواب الملكة (٥٧) • أما عن الكلمة التى قدمها أصحاب المجموعة الأولى فتشمل الاشــادة بالملكة وسرد ألقابها وما قدمته على مدار الخمسين سنة من حكمها وما يتمنونه لها ، وأن الألم الداخــلى الذى ألم بهم لمعيشــتهم كغرباء قد زال نتيجة المعاملة الحسنة والراحة والعدالة ووســائل الرحمة والانســانية والاحترام الذى يلاقــونه ، وأن اخلاصــهم للولاء وخضوعهم نابع من القلوب ، وأنهم يلتمسون الركوع تحت أقدام عرش جلالتها ، وفى نهاية الكلمة يقدمون الشــكر والأمنيات الطيبة لممثل حكومتها ، وينقلون شعور السعادة الذى ينتابهم بلا حدود لتمتعهم بامتياز مشــاركتهم هذا اليوم الســعيد • وتلقوا الشــكر من الحاكم والوعد بنقل كلمتهم لجلالتها (٥٨) • وبذلك تتجلى الحالة التى وصــل اليها المنفيون •

ويكتب طلبة عصمت لبرودلى فى ١٤ مارس ١٨٩٤ ليسطر له كيف كان الابتعاد عن عرابى الذى ساءت علاقته برفاقه ، ولم يعد يراه أحد منهم أو يزوره ، ويحاول أن يوقع به حيث يرجع السبب الى أنه غير راض على أن يكونوا أصدقاء له (٥٩) • ومن الثابت أن كاتب الخطاب كان من شيعة عرابى ، ولكن لم يكن هناك خط يلتزم به اذ بدا التخبط فى العلاقات واضحا ، ويشـير عبد الله النديم فى رسالته الى عرابى للحال المؤسف الذى وصلوا اليه ، ويلقى اللوم عليهم لمعارضتهم لقائدهم وغضبهم من غير سـبب وتكاتفهم ضـده ، ويتعجب من أن ذلك لم يكن فى الحسبان أن يصدر منهم ، ويستفسر عن الأسباب وينصـح صديقه « اذا انحرفت بانحرافهم أبرمتهم ، واذا لاينتهم ربحتهم ، وان جادلتهم خسرتهم ، ولا تقل وعظت فأكثرت ، وحذرت وأنذرت ، ودعوتهم ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا ••• فلا تضق ذرعا باخوانك وقل لهم افعلوا ما شئتم فانكم أحباب ، وهذه عوارض تمحى بانمحاء الأسباب ••• ولا تعاجل وانظر الآجل وكأنك بهم وقد عادوا أحبابا ••• وجاءوا اليك معتذرين يوم يقال ادخلوا مصر انشاء الله آمنين » ويثنى على أفعال كل منهم ، ويطالبهم باقصاء الخصام والترابط وجمع الكلمة وتوثيق العهد (٦٠) • وكان من الصعب عودة الوصال بعد أن زحفت الصـغائر الى داخلهم واهتزت شخصياتهم ، وهـذا أمر طبيعى لتلك الصدمات التى تلقوها •

وانحصر النشاط فى المنفى على تلك المجهودات المتواضعة التى بذلها بعض المنفيين فى المجال الثقافى ، خاصة عرابى ومحمود سامى اللذان أسهما فى هذا الميدان ، فكانت مهمة الأول التعبئة لانشاء دور العلم عـلى الأسس الاسـلامية ، بينما قام الآخر بتدريس اللغـة العربية وعلوم الدين فيها ، والواقع أن ظروف الحياة الصـعبة التى فرضـت على المنفيين قيدت من نشاطهم وجعلتهم يصبون اهتمامهم بالدرجة الأولى على التفكير فى الطرق التى توصـلهم للخـروج من

جنة آدم ، فمنذ اللحظة الأولى لوصلهم لأرض سيلان والتطلع يحدوهم الى العودة لوطنهم ، وعقدوا الأمل فى ذلك على بريطانيا اذ آمنوا أن مصيرهم بل ومصـــير مصر مرتبط بها ، وقد بين برودلى أنهم سيتحلون بالصبر وينتظرون العدالة ان عاجلا أو آجلا (٦١) . ومما شـــجعهم على تثبيت هذا الشعور أن من تولوا الدفاع عنهم بدأوا يتحركون ، فيكتب نابيير الى بلنت عقب حوالى ثلاثة أشهر من نفيهم ليشير الى دور الحكومة البريطانية فى مسألة النفى واختيار سيلان ، ثم ينعطف الى أنه ليس معنى ذلك أن يقضوا حياتهم خارج بلادهم ، وخاصة أن الحقيقة تظهر أنهم غير مذنبين (٦٢) . وتبنى بلنت هذا الاتجاه وكتب لعـــرابى يقول « لقد كثر عدد الذين يعترفون بالخدمات التى قدمتها لمصر ، وأملى كبير لعودتك الى وطنك » (٦٣) .

وشكلت الحالة الصحية السيئة للمنفيين ركيزة استند عليها لتحقيق المطلوب ، وكان طلبة عصمت أشدهم حاجة الى ترك سيلان ، فهو مصاب بداء الربو من قبل نفيه ، ولزم الفراش عقب وصوله الى كولومبو اذ ازداد المرض عليه ، وقد تناول شرح حالته لبرودلى فى شكواه التى بعث بها اليه (٦٤) . وكتب طبيبه المعالج تقريره الذى تضمن أن حالته الصحية متدهورة ، ومن الخطر بقاؤه فى هذا المناخ ، وأوصى بوجوب نقله الى جهة تتناســب مع حالته ، وعليه يطلب دفرن من القنصــل البريطانى العام الاتصال بالحكومة المصرية لمعرفة رأيها (٦٥) . وفى نفس الوقت تقدم صاحب الشأن بطلب الانتقال الى بيروت على اعتبار أن مناخها أكثر جفافا ويتلاءم مع حالته المرضية ، ويرفع الحاكم الطلب الى لندن ، ويرد عليه دربى بأنه اذا رأى ضرورة فى نقله ، فان الحكومة المصرية تقترح أن يكون المكان الجديد الكاب (٦٦) . ويرفض طلبـــة عصمت اعتمادا على ما بينه طبيبه بأن حالته الصحية ستزداد ســوءا اذا عاش فيه (٦٧) . عندئذ رأت الخارجية البريطانية نقله الى احـــدى مدن الملايو (٦٨) ، فيعارض ، أيضا يأبى الذهاب الى جفنة ، ويطلب

الاقامة فى قبرص أو سوريا أو تونس [٦٩] ٠ وبالطبع لم يتحقق طلبه ، ويشكو حاله لوزير المستعمرات ويستعطفه ويعاتب الحكومة المصرية ، ويطلب أن تراعى الانسانية وتعمل على انقاذ حياته من المرض الذى يكلفه الكثير وقد يودى به [٧٠] ٠ ويتملكه اليأس ويكتب لبرودلى ليعبر له عما يجول بخاطره من أنه لن يعيش ليرى لحظة العودة لأرض وطنه [٧١] ٠

ومع سقوط حكومة جلادستون وتولى حكومة سولسبرى عام ١٨٨٥ ، اعتقد المنفيون أن ذلك فى صالحهم ، فيكتب عرابى لبرودلى موضحا أن الوقت قد حان لأن تنظر الحكومة الجديدة فى أعمال سابقتها مع مصر حتى تتغير الأفكار بصدد المنفيين وتعلم أن أعمالهم كانت غير عدوانية ، وانما هى لرفع المظالم والامتيازات ونشر العدل والمساواة مع احترام الأجانب والمعاهدات والحرص على المصلحة العامة [٧٢] ٠ ولم يوضع فى الاعتبار ما توقعه عرابى من الحكومة الجديدة ، فلم تستمر فى الحكم طويلا ، وعاد جلادستون للحكم فى عام ١٨٨٦ ، هذا بالاضافة الى أن السياسة البريطانية اتخذت شكلا يكاد يكون موحدا تجاه المنفيين ٠

وجاءت فرصة قرب الاحتفال باليوبيل للملكة فيكتوريا ليطلب المنفيون العفو عنهم بهذه المناسبة ، فكتبوا التماسا أرسلوه لها فى ٢٠ يناير ١٨٨٧ وبعثوا بنسخة منه الى برودلى ، وبالطبع حفظت ديباجته الاشادة بالملكة ، وبأنهم منفيون فى المستعمرة الزاهرة تحت حكمها ، وبعد التهنئة عرضوا حالاتهم ، فبينوا أن الحكومة المصرية قد بذلت العفو لكثير من الضباط وغيرهم من الذين اشتركوا معهم فى حركتهم ، وسمحوا لهم بالالتحاق بالوظائف ، وينتقلون الى أن بعضا من أولادهم الذين اصطحبوهم معهم أتموا دراساتهم فى المدارس الانجليزية ، وعادوا الى مصر والتحقوا بخدمة الحكومة ، وأن فى هذا دليلا على حسن الاخلاص نحو الخديو ، ويعرجون على أنهم فقدوا وظائفهم

ونزلوا الى أعمق درجات الاهانة ، وتجردوا من الرتب والنياشين ، واحتجبوا عن الفرص لاسترداد ما فقدوه ، وافترقوا عن الأهل والأحباب وحرموا منهم ، ورغم راحتهم فى المنفى الا أنهم لا يمكنهم اخفاء الحقيقة ، وهى اشتياقهم للرجوع الى مصر . وأوضحوا كيف أن سلوكهم فى كولومبو يشهد عليه حاكمها ، وأنهم يتمسكون بكلمة الشرف التى أعطوها قبل سفرهم ، ثم يشكرون الملكة وحكامها لرأفتهم وعدالتهم ، ويدعون لها بطول مدة الحكم والصحة والقوة ، ويعلنون خضوعهم وطاعتهم لها وللخديو ، وفى النهاية يلتمسون العتق والعودة الى الوطن (٧٣) . وتوالت بعد ذلك الخطابات الفردية الى بيرودلى وبلنت للسعى وراء عريضتهم للملكة (٧٤) .

وعندما حضر وليم جريجورى الى سيلان لحضور الاحتفال ، التقى بعرابى ورفاقه ونصح بالكتابة للحكومة البريطانية فى هذا الشأن ووعد بالمساعدة ، فحررت العريضة وسلمت له وشملت الرغبة فى الانتقال الى قبرص ، وحولت لندن الطلب الى الحكومة المصرية التى رفضت وخيرت المنفيين بين الكاب وزيلع (٧٥) . وواصلت الالتماسات طريقها ، ففى ١٥ سبتمبر ١٨٨٧ قدمت مجموعة يعقوب سامى التماسها الى الملكة ، واشتمل الثناء عليها وعلى الخديو ، وسرد كيفية انقاذ المنفيين من حكم الاعدام وأملهم فى الاشفاق عليهم واعادتهم مع عائلاتهم لبلادهم ، وأرفق بالالتماس كتاب الى الحاكم يستعطفونه للوساطه بعد أن خبر أخلاقهم ولمس طاعتهم فى تنفيذ التعليمات خلال السنوات الخمس للنفى ، وقام جوردن بالمهمة ورفع تظلمهم الى المسئول البريطانى وسجل « وانى أشهد لهم بحسن السير والسلوك خلال المدة التى قضوها فى المنفى ، وأرجو النظر الى شكواهم بعين الرأفة والعطف » (٧٦) . وعرض الأمر على الخارجية البريطانية ، فوجدت أنها لا ترى استعجال الحكومة المصرية ، ولكن لابد من الرد عليهم ، وأرسل بيرنج مذكرة بالمسألة الى « ذو الفقار » ناظر الخارجية ،

ووصلته الاجابة بأن الحكومة لا تمانع فى عودة عائلاتهم فى حالة رغبتهم ، ولكنها لا توافق على عودتهم ، وطلبت اخطارهم بذلك (٧٧) •

واطلع المنفيون على رد الحكومة ، وطلب يعقوب سامى من الحاكم سفر عائلته ، وعليه بعث جوردن الى سولسبرى يعلمه بأنه أعطى التصريح ، ويرجو اخطار القنصلية البريطانية فى القاهرة لعمل التسهيلات ، وتكتب الخارجية البريطانية لبيرنج لتبلغه (٧٨) • وكف المنفيون عن التماساتهم بعض الوقت ، وفى تلك الأثناء كان بلنت يواصل مساعيه من أجل عودتهم ، فقد التقى بدفرن فى السفارة البريطانية بروما فى ١٦ نوفمبر ١٨٨٩ ورجاه فى هذا الصدد (٧٩) • ولم يلبث الأمر أن قدم المنفيون للحاكم التماسا يحمل طلبهم المعهود ، ومرة أخرى يزكيهم جوردن لدى لندن ويذكر أنهم كانوا على خلق طيب ولم يصدر منهم شىء مخالف ابان اقامتهم ، فلم يعقدوا الاجتماعات ، ولم يقوموا بأى عمل ضد النظام فى مصر ، وأنهم أرفقوا الشهادات الطبية التى تثبت عدم قدرتهم على تحمل الرطوبة ، وقد تعهدوا بالبعد عن السياسة وعدم اثارة الرأى العام ، ثم يوصى الحكومة البريطانية بالعمل على مساعدتهم لدى الحكومة المصرية (٨٠) •

وكان على رأس الحكومة المصرية مصطفى رياض ، وله الخلفيات مع المنفيين ، ودلت مواقفه عقب انكسار الثورة مباشرة على رغبته الجامحة فى التشفى والانتقام ، وحاول بلنت استثمار عدم الوفاق بين رئيس النظار وبيرنج الذى وضح فى الفترة الأخيرة من حكم النظارة لصالح عرابى ورفاقه ، وفى لقاء جمعه بصديقه محمد المويلحى طرحت المسألة ، ونصح الأخير بأنه على عرابى الاستجابة لاتجاه المعتمد البريطانى ، وفى مقابلة بلنت للأخير فى ١٢ يناير ١٨٩٠ جرى الحديث حول الاتجاهين المتضادين فى مصر ، الاتجاه الأوربى المتحرر والاتجاه التقليدى الجامد ، وهنا انتهز بلنت الفرصة وأشار الى عرابى باعجاب وبأنه وسط بين الاتجاهين ، ثم ذكر أنه علم أن محمد عبده عفى عنه

وسمح له بالعودة من منفاه وعين قاضيا فى بنها ، فرد عليه بيرنج بأن جميع المنفيين تقريبا قد استدعوا ؛ فرجا بلنت تعميم ذلك بحيث يشمل المنفيين فى سيلان ، فاعترض المعتمد البريطانى وصرح بأن عــرابى قام بثورة فاشلة ويجب عليه تحمل العقوبة ، فأجابه محدثه بأنها كانت ثورة ناجحة لولا الجيش البريطانى الذى بلغ قوامه ٢٠ ألف رجــل ، ولديه من الامكانيات ما يعطيه التفوق [٨١] • معنى هــذا أن بيرنج لا يميل لصدور العفو عن قادة الثورة العرابية •

وبعث المعتمد البريطانى الى لندن — ردا على بحث تظلم المنفيين — يبلغها أن الخديو ليس لديه أى استعداد لعودتهم [٨٢] • وقدمت مذكرة الى رئيس الوزراء البريطانى فى ٢٦ أغسطس ١٨٩٠ حملت توســلات المنفيين ، فطلب الاتصال مرة أخرى بالحكومة المصرية ، فعادت لتؤكد رفضها ، كما صــورت الانطباع السيىء لدى الرأى العام ضدهم ، وأنها ستجرى البحث فى موضوع نقلهم الى قبرص [٨٣] • وحينما أثير سؤال فى مجلس العموم البريطانى حول سوء الحالة الصحية للمنفيين وعدم تحملهم رطوبة سيلان [٨٤] ، أخطرت الخارجية البريطانية وزارة المستعمرات بأنه سيكلف طبيب حكومى لفحصهم وتقرير حالتهم الصحية ، واذا وجد أن الجزيرة لا تناسبهم ومناخها يعرضهم للخطر ، ففى هذه الحالة ستنقلهم الى جهة أخرى ، وأنه لا محل للتفكير فى عودتهم الى مصر [٨٥] • اذن فالسياسة العليا تتفق فى عدم السماح لهم بالرجوع لوطنهم •

وكتب مفتش الصحة بكولومبو — وهو الطبيب الذى وكلت له تلك المهمة الرسمية — تقريره فى ٤ أكتوبر ١٨٩٠ بعد أن شــكل لجنــة بهذا الخصوص ، وجاء فيه أنه ليس هناك تأثير ضــار لمناخ ســيلان على صحتهم ، ورفع الحــاكم التقــرير الى ناتســفورد Knutsford وزير المستعمرات موضحا أنه من يرغب منهم فى الانتقال الى مكان آخر فعليه اختياره فى سيلان نفسها ، ومن ثم أعلم رئيس الوزراء البريطانى

بنتيجة الكشف الطبى ، وتطلب الخارجية البريطانية من وزارة المستعمرات ابلاغ المنفيين بأنهم سيبقون فى جنة آدم (٨٦) •

ورغم التوصل لهذا الرأى الا أن وزير المستعمرات اقترح امكانية نقلهم الى مدينة بنجالور Bangalore (٨٧) ـ تقع بالقرب من مدارس فى الهند ـ وجاء ذلك بناء على ما عرضه حاكمها على وزارة المستعمرات، فقد سجل انطباعاته عن عرابى فذكر أنه يعرفه جيدا ؛ فعند وصوله الى سيلان كان رجلا قوى البنية ، ممتلىء الجسم ، متمتعا بالصحة ، له الشخصية القوية على مرافقيه ، وصاحب ابتسامة لمن يبدى اهتماما به ، ولكن حين رآه بعد خمس سنوات من منفاه ، صدم بالتغييرات التى حدثت له ، حيث ساءت حالته ، وبدا كما لو نقص طوله قـدما ، وانتابه اليأس ، وزهد الحياة ، وظهر عليه كبر السن ، وهاجمه المرض ، وأصيب قلبه بداء الحنين للعودة للوطن • وبعد وصف حالته يرشـح للمنفيين جفنة ثم يشير الى بنجالور ويعتبرها جنة الهند ويبين أنهـا تتمتع بالجفاف ، وتضم الأندية ووسائل التسلية والحوانيت ، وتتوفر بها جميع الحاجيات الأساسية والثانوية ، وبالتالى فهى تناسـبهم ، وأخيرا يبدى استعداده لعمل الترتيبات اللازمة لهم من منازل مفروشة الى غيره • ووضع الاقتراح أمام الخارجية البريطانية ، فرأت بحثه (٨٨) • ولكن على ما يبدو أنه لم يلق تأييدا لتعارضه مع الخطة الأساسية التى رسمت بهدف فصل المنفيين عن الهند • وهـدأ الموقف بعض الشىء ، وأحبطت آمال المنفيين فى عودتهم الى مصر أو حتى انتقالهم الى مكان أكثر ملاءمة لصحتهم •

وفى ١٩ مارس ١٨٩١ توفى عبـد العال حلمى نتيجة اصـابته بحساسـية فى صـدره ، ودفن فى كولومبو ، ولفت ذلك الرأى العام البريطانى ، فتقدم شوان Schwan عضـو مجلس العموم بسؤال لوزير المستعمرات عما اذا كان أثار انتباهه أن المتوفى قد شـكا من معاناته لأزمة صدرية ، وأنه كان يتألم كثيرا ويتوسل لنقله من المكان الذى يعيش

فيه ، وأن عرابى يقاسى من الروماتيزم الذى لا يتفق هو الآخر مع الرطوبة ، ورغم ذلك فالتقرير الطبى يقول عكس هذا ويسجل أنه لا ضرر على المنفيين ، ثم يسأله عما اذا كان قرأ المقال الذى نشرته الصحيفة السيلانية Ceylon Mail الصادرة فى ٢١ مارس عن المنفيين وخاصة طلبة عصمت الذى لم يفارقه مرض الربو ، وأخيرا يسأل عما اذا كانت الحكومة البريطانية تعتبر أن الحاجة الى نقلهم لمكان جاف قد أصبحت ملحة [٨٩] • وطلبت لندن التقرير الطبى الخاص بوفاة عبد العال حلمى ، وجاء فيه أنها تمت بسبب نزيف فى المخ حدث نتيجة لحساسية الصدر التى صحبها انتفاخ فى الرئتين واغماء ، وأن الطبيب المعالج تردد عليه منذ ١١ مارس وأعطاه العلاج لكنه لم يتمكن من وقف الحالة [٩٠] •

وخشى طلبة عصمت على نفسه ، والتجأ للحاكم وقدم له التماسه وتظلم وترجى نقله الى مكان جاف [٩١] • وفى نفس الوقت استلم الحاكم خطابا من لندن مرفقا به استفسار مجلس العموم عن صحة المنفيين ، وطلبت منه الرد • وعلى الفور عين لجنة طبية رسمية لفحصهم ، وعما اذا كان طرأ أى تغيير على صحتهم منذ آخر فحص لهم خاصة طلبة عصمت وعرابى لتأكيد أو نفى مرضهما ، وجاء التقرير بأن أربعة منهم لا تغيير فى صحتهم ، وأن طلبة عصمت ليست صحته بحالة مرضية ، ونصحت اللجنة بنقله من كولومبو الى كاندى أو جفنة حيث مناخهما أفضل ويناسب المصابين بمثل مرضه ، أما عن عرابى فسجل التقرير أن حدة الروماتيزم قد خفت [٩٢] • ووفقا لذلك رأت الخارجية البريطانية أنه لا مانع لديها من نقل طلبة عصمت الى قبرص أو سانت هيلانه St. Helena أو الكاب • وتم الاتصال بالقاهرة لتبليغها ، وعارض الخديو بشدة المكان الأول ووافق على الجهتين الأخيرتين [٩٣] • وأبدت الخارجية البريطانية استعدادها لتحمل مسئولية الاشراف عليه ومراقبة تحركاته ، وطلبت سؤاله حتى يمكن اتخاذ اللازم [٩٤] • وبعرض

الأمر على صاحب الشأن رفض وفضل الاستمرار فى سيلان عن الانتقال لهاتين الجهتين [٩٥] • وعندما جدد العرض عليه بناء على اعادة طلبه المعهود ، ركز على قبرص لتشابهها فى المناخ مع مصر وأنها المكـان المناسـب لصـحته [٩٦] • وبالطبع رفض الطلب لتعارضـه مع رغبة الخديو •

وفى ذلك الوقت كان بلنت يسعى لدى بيرنج ، فعقب وفاة عبد العال حلمى فاتحه فى المسألة ، لكنه عارض عودة المنفيين بشدة ، وصرح أنه فى حالة ما يتقرر احتلال مصر بصفة مسـتديمة فانه لن يعارض فى عودتهم ، وحاول بلنت أن يستحضر له مثالا ، فذكر محمد عبده وكيف تغير موقفه [٩٧] ، بمعنى أنه أصـبح بعيدا عن الثورية وسلسا مـع السياسة البريطانية ، ولكنه لم يصل معه الى نتيجة • وفى يوليو ١٨٩١ أثير الموضوع فى البرلمان عن طريق لابوشير ، وكانت اجابة الخارجية البريطانية متمثلة فى فرجسـون Ferguson حيث ذكر أن الحـكومة البريطانية لم تتخذ موقفا نهائيا تجاه المنفيين وأنها جارية البحث فى هذا الشأن [٩٨] • فأعطى هذا نوعا من الأمل •

وخرجت الصـحيفة البريطانية Pall Mall Gazette فى ٢٧ ينـاير ١٨٩٢ بمقال لمراسـلها فى كولومبو سـجل فيه رؤيته لعرابى بعـد انقطاع دام سبع سنوات ، فذكر أن ملامحه تغيرت واتسع عقله وأصبح يتكلم الانجليزية بطلاقه ، وبعد أن كان رجلا طويلا ذا جسم عسكرى قوى ، غدا رخو العضلات ، وقد أنهك من اصابته بالملاريا ، وتعثرت قدماه من مرض الروماتيزم ، واشتعل الرأس والذقن شيبا ، بالرغم من أن عمره لا يتجاوز ٥١ سنة ، لكنه يبدو فى السبعين اذ انحنى ظهره ، ويبين الكاتب أن عرابى شكا له سوء الحال والمنقلب والجـو القاتل الـذى يعيش فيه هـو وزملاؤه حيث زحفت عليهم الأمراض بأنواعها ، وأن نفيهم فى تلك الجزيرة يعنى الموت البطىء ، ثم عبر عن رغبتهم فى العودة لمصر وكيف توصد الأبواب أمامهم [٩٩] • وكان هذا

المقال موضع سؤال من كوى Coy عضو البرلمان اذ استعلم من وزير المستعمرات عما اذا كان قرأه ، وهل يمكن للحكومة البريطانية العمل على عودة المنفيين لأرضهم أو نقلهم الى قبرص [١٠٠] • وعليه يتضح أن القضية أصبحت متداولة ولكنها لم تحسم •

وطرأ عام ١٨٩٢ حادثان مهمان ، فقد تولى جلادستون الوزارة للمرة الرابعة ، ومن ثم عاد حزب الأحرار الى الحكم ، كما اعتلى عباس حلمى الثانى أريكة الخديوية وبدا وكأن الأمر ربما يكون فى صالح عرابى ورفاقه ، وتحرك بلنت ، وفى لقائه مع السكرتير الخاص لروزبرى — الأخير شغل منصب وزير الخارجية فى عهد وزارة سولسبرى الثانية — ناقشه فى مسألة فك سراح عرابى ، فوجد منه فتورا مما لم يشجعه على الاستمرار ، وأعقب ذلك لقاؤه بدفرن بالسفارة البريطانية فى باريس ، فطلب منه مساعدته لتحقيق ما يسعى اليه ، فوجد منه قبولا حيث تكلم عن عرابى بطريقة لطيفة ، ووعد بأن يقول كلمة طيبة فى حقه عندما تتاح الفرصة [١٠١] • وفى ٧ نوفمبر من نفس العام بعث بلنت برسالة الى روزبرى استعرض فيها الظروف التى يخضع لها المنفيون ، وبعثت الخارجية البريطانية بصورة منها الى كرومر فى مصر [١٠٢] •

ودرس المعتمد البريطانى الموقف جيدا ، وكتب الى لندن ليسجل الأبعاد ، فذكر أن الخديو الجديد على استعداد لسماع شكوى المنفيين فى سيلان ، وأنه مقتنع أن وجهة نظر عرابى وموقفه يختلفان تماما عما مضى ، وأنه فى لقاء معه عندما نقل له تهانى الملكة ، تطرق فى سياق الحديث عن التماسات عرابى ورفاقه ، ولكنه لم يعرض رأيه ، ولم يطلب من الخديو الرأى ، وانما تبين أنه لا يعارض فكرة بلنت — وهى بالطبع لصالحهم — ويواصل كرومر قوله انه بالنسبة لصغر سن عباس فقد يعرض الأمر على نظاره ، وانه — أى كرومر — لن يتحدث معهم فى ذلك اذ يعارضون بشدة مسألة العودة ، ويجدون من يؤيدهم

من أصحاب المراكز ذات الأصول التركية ، وبالتالى فلن يضغط عليهم ، ويبين أن العفو عن عرابى — اذا حدث — سيكون خطوة جريئة من الحكومة البريطانية ، ولها وقعها الحسن فى تهدئة الرأى العام مما يسهل بقاء قوات الاحتلال فى مصر ، وأنه فى حالة ثبوت هذه الرؤية ، لابد من ضغط سياسى لاقصاء اتجاه الرافضين ، ثم ينتقل الى تحليل شخصية عرابى ، فيسجل أنه لم يقابله شخصيا ، لكنه واثق من أن حركته كانت ضد الأتراك والأوربيين ، واتخذت الطابع العسكرى والوطنى ، وأن ما لاقاه الفلاحون من الظلم على يد الأتراك الذين يعتبرون المصريين أقل مستوى منهم ، جعل عرابى يتزعم حركة الانقاذ ومعه غالبية المصريين ، فاشتركت معه الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا ، وأن الذين حوكموا يعدون قلة ، وقد وقع عليهم دور القيام بالحركة ، ويصفها بأنها كانت حركة اجتماعية ، وبالتالى فهو يرى عودة القائد سيكون لها تأثير حسن فى نفوس الشعب • وفى الوقت نفسه يسجل أن فيها خطرا سياسيا كبيرا ، ثم ينتهى الى أن ضعف الخديو ونقص تعليمه يجعله فى حاجة الى طلب معاونة الانجليز المستمرة ليظهر قويا ، ويركز على أنه فى هذه الحالة لن تكون هناك خطورة من عودة عرابى(١٠٣)• وبذلك تتضح نظرية السياسة الكرومرية ، ومن خلالها نلمس أن التعنت والجمود اللذان أبداهما المعتمد البريطانى فيما سبق تواريا جانبا نظرا لتغيير الظروف •

والتقى بلنت بالخديو فى ٢٨ فبراير ١٨٩٣ وسأله العفو عن المنفيين مصرحا أنه استلم خطابات من عرابى تفيض بعبارات الولاء له ، وأنه — أى بلنت — على يقين من امكان الخديو الاعتماد عليه لاخلاصه له ، كما أشار الى أن محمود سامى سيكون هو الآخر مفيدا له للغاية ، وأبدى أمنيته فى السماح للمنفيين بالعودة ، وتقبل عباس الحديث بارتياح مما شجع محدثه على الاستمرار ، فأظهر أسفه على أن الخديو توفيق كان فى مشاحنة مع عرابى مما تسبب عنه دخول الانجليز مصر ،

وأنه لا يعفى من هذه المسئولية ، وأظهر أن سياسة عرابى تطابق تماما سياسته وعلى وجه التحديد فيما يتعلق بالتخلص من الحكم الأجنبى ، وهنا أجابه الخديو بأنه لا يمكنه اعطاءه ردا قاطعا حول هذا الموضوع حتى يتم التشاور مع الآخرين ، ولكنه سيضع مسألتهم محل اعتبار ، وحينما تتاح الفرصة المناسبة ، فانه يأمل أن يكون قادرا على تحقيق طلبه ، فأجابه بلنت بأنه لا يريد الضغط عليه فى تلك اللحظة نظرا لعلاقته المتوترة مع كرومر ، وأسدى اليه النصيحة بأن يكون مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية من بين مستشاريه (١٠٤) . ومع علم بلنت بموقف مصطفى رياض المضاد ، لكنه التقى به فى ١٧ مارس ١٨٩٣ وكان رئيسا للنظار وبسط الأمر معه ، فسمع منه الكثير مما قام به عرابى وكيف تسبب فى الاحتلال البريطانى ، وانتهى الى أن الفرصة غير مواتية لاتمام هذه الخطوة (١٠٥) .

وحاول عرابى استدرار عطف الرأى العام البريطانى عن طريق عرض المسألة على الصحافة ، ففى عام ١٨٩٣ وبينما كان محرر الصحيفة البريطانية The Daily Graphic فى زيارة للجزيرة ، بعث اليه عرابى ببرقية عاجلة يطلب منه اجراء حديث معه بهدف أن يكتب مقالا — عقب عودته للندن — يقترح فيه اطلاق سراحه من الأسر . والتقى الصحفى به فى نوارا اليا Nuware Eliya بالجبل ، وحضر المقابلة على فهمى وابن عرابى ، ودار الحديث عن مقال نشر فى الصحيفة البريطانية The Daily Telegraph تحت عنوان « سجين الحرب » استعجل فيه كاتبه العفو عن عرابى ، وراح الأخير يسرد قصته حتى وصل الى معركة التل الكبير ووصفها بأنها المشهد الأخير الذى أسدلت عليه الستار ، ثم طلب من الصحفى أن يصف للشعب الانجليزى حاله ، وكيف أصبح هرما قبل الأوان ، وأن عشر سنوات المنفى ضاعت فيها صحته وأصبح لا يصلح لأى شىء ، وغير قادر على الخيانة أو الاخلال بكلمة الشرف ، وأن عيناه غطاهما السحاب الذى سيحجب عنهما رؤية الضوء الى

الأبد ، وعندما سأله الصـــحفى عن نظرته للمستقبل ، أجاب أنه يريد الموت بين ناسه ، ويشاهد مصر قبل أن تأتى ساعته الأخيرة ، وفى حالة سماح الحكومة البريطانية بعودته فسيذهب كصديق لبريطانيا لا كعدو ، وأنه يوافق على وضعه تحت رقابة البوليس أو الحراسة العسكرية ، وتكتب عنه التقارير وترفع للمسئولين ، وأكد تمسكه بوعده الذى أعطاه بأ لايتدخل فى السياسة بطريقة أو بأخرى ، وينتهى الى أنه وضع أمله فيه ويطلب العفو والرحمة ويشيد بالانجليز [١٠٦] • ودلت هذه المحاولة على الخضوع والاستسلام ، لكنها كانت احدى الأبواب التى طرقت •

وعاود المنفيين الأمل فى تحقيق مطلبهم ، فيكتب طلبة عصـــمت الى وزير المستعمرات ليعيد شرح ظروفه ويبين أن الأجواء أصـــبحت صالحة لامكانية نوال الرغبات عن ذى قبل ، حيث يحكم مصر خديو جديد أصدر العفو عن ٣٣٨ شخصا من الذين رفض والده العفو عنهم ، وأن حزب الأحرار يحكم انجلترا وهو صاحب قوة وبأس [١٠٧] • وبعثت الخارجية البريطانية الى كرومر تنقل له المظلمة ، فأعد بدوره مذكـــرة بشأنها وسلمها الى تيجران ناظر الخارجية ، وسأله عما اذا كان عباس حلمى سيلبى طلب المتظلم بالســـفر الى قبرص ، فعلم منه أن حول المذكرة عليه ، وأنه سيكون مثل والده حذرا من ذلك ، خشية من تمسك باقى المنفيين بالانتقال اليها ، ولأنها قريبة من مصر ، ومن ثم فعـــنى المتضرر اختيار مكان من المستعمرات يكون بعيدا عنها ، وينتقل ناظر الخارجية الى معاناة الحكومة من اطلاق سراح عبد الله النديم [١٠٨] • وعليه أخطـــرت الخارجية البريطانية وزارة المستعمرات برفض الخديو وابلاغ صاحب التظلم بذلك [١٠٩] •

وانفعل طلبة عصمت وكتب الى برودلى يشـــير الى ما سبق أن أقرته اللجنة الطبية عام ١٨٩١ عن سوء حالته الصحية ، وكيف دخلت قبرص فى مجال الاختيار كمكان ينتقل اليه ، وأنه فضلها ، فرفضـــها توفيق ، ثم عاد وعارضها ابنه رغم تسامحه مع حسن موسى العقـــاد

ومحمد عبده وعبد الله النديم . وينتهى الى أنه فى المنفى بناء على رغبة الحكومة البريطانية لا الحكومة المصرية ، ويطلب منه السـعى لتحقيق طلبه (١١٠) .

وساءت حالة عرابى ورفاقه بوفاة محمود فهمى فى ١٧ يونيو ١٨٩٤، وكلف حاكم سيلان مفتش عام البوليس لمعرفة سـبب الوفاة ، واذا ما كان هناك سبب مباشر أو غير مباشر عمل على سرعتها ، وهل لمناخ سيلان دخل فيها ؟ وجاء التقرير الطبى أنه أصيب بشلل فى جـنبه الأيسر وثقل لسانه ، وجرت معالجته فتحسن ، لكن استمر ذراعه مشلولا ، ثم توجه الى كاندى ومكث بها أربعة أيام ، عاد بعدها الى بيته فى كولومبو ، وزاره الطبيب ، وبعدها انتقل الى كاندى مرة أخرى حيث استضافه ابن عرابى ، ولم يمض الا وقت قصير حتى لقى ربه ، وأنه ليس للظروف المناخية دخل فى الوفاة وسببها السكتة القلبية ، كما قدم تقرير لطبيب آخر كان على صلة شخصية بالمتوفى ، يذكر فيه صفاته وكيف كان نشـيطا ويهوى المكتبة ويقـوم بترجمة كتب التاريخ من اللغـة الانجليزية الى اللغة العـربية (١١١) . وبذلك نقص من عـدد المنفيين اثنان ، وأصبح كل واحد من الباقين ينتظر دوره حاملا فوق أكتافـه مشقة التفكير فى الموت بعيدا عن الوطن . وهكذا نطقت صورة حياة عرابى ورفاقه فى جنة آدم بالعذاب الذى تجرعوه ظلما وبهتانا ، لا لذنب اقترفوه سوى أنهم أرادوا الخير لمصر .

هوامش الفصل الثالث

(١) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ .

(2) F.O. 78/4267, Longden — Derby, Kandy, Jan. 30, 1883, No. 41.

من بين الطلبات التى قدموها للحاكم ، الحاق أولادهم بالمدارس ، وتوفير العلاج الطبى ، ومن ثم فقد رتب اتصالهم بمدير التعليم العام للاتفاق على المدارس التى تناسبهم ، وأعلمهم بأن هناك أربعة أطباء انجليز ، وعليهم اختيار أحدهم ، وأن يكون ثمن الدواء على نفقتهم .

(3) Ibid, Downing Street, March 5, 1883.

(4) Ibid, Dufferin — Granville, Cairo, April 6, 1883, No. 102.

(٥) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ ،

F.O. Op. Cit., Malet — Granville, Cairo, May 29, 1883.

(6) Ibid, Downing Street, May 22, 1883,

بلغت هذه المصاريف حوالى ٣١٠٥٠٠ روبية ، وطلبت لندن من الحاكم العام أن يقوم بمحاولة لتخفيض هذا المبلغ .

(٧) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ .

(8) F.O. 78, Op. Cit., Douglas — Derby, Colombo, Aug. 2, 1883.

(9) Ibid, Sept. 11, 1883, F.O — Baring, F.O, Oct. 24, 1883.

(10) F.O. 78/4268, F.O — Colonial Office, F.O, Jan. 2, 1884.

(11) Ibid, Gordon — Derby, Ceylon, Jan. 28, 1885, No. 39.

(12) Ibid, Gregory — Derby, Hyde Park, May 30, 1884.

(13) Ibid, Labouchere — Colonial Office, Twickenham May 28, 1884.

(14) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, July 24, 1884.

(15) Ibid, Downing Street, Jan. 24, 1884 .

(١٦) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ ، محضر ٢٦ فبراير ١٨٨٥ ،
F.O. 78/4267, No. 240.

(17) Broadley : Op. Cit., vol. II, Aug. 31, 1883, F.O. 78/4268, Cairo — F.O, Cairo, Aug. 16, 1884, No. 806.

اختصت هذه الزوجة باضطهاد الحكومة لها وذلك بناء على رغبة توفيق فى الانتقام منها ومن زوجها نظرا لتلك الصلة التى كانت تربطهما بالقصر قبيل الثورة .

(18) F.O. 78, op. cit., Aly Fahy — Derby, Colombo, March 24, 1884, Aly Fahmy — Salisbury, Colombo, Aug. 31, 1885, Yacoub Samy — Derby, Colombo, Aug. 16, 1885, Yacoub Samy — Salisbury, Aug. 31, 1885, Mahmoud Fahmy, Mahmoud Samy, Abdel Al Helmy — Horble, Colombo, Aug. 10, 1885, Yecoub Samy, Aly Fahmy — Churchill, Aug. 26, 1885.

كان لطلبة عصمت وضعه الخاص لمرضه وما يتطلبه من مصاريف أعجزته ، وقد كتب رسالة مطولة الى وزير المستعمرات يشرح له فيها ظروفه الصعبة ونفقاته المرتفعة .

F.O. 78, Op. Cit., Toulba Esmat — Secretary of State for the Colonies, Colombo, Aug. 10, 1885.

(19) Ibid, Gordon, Queen's House, Colombo, Sept. II, 1835.

الالتماسات المرفقة مقدمة من طلبة عصمت ومحمود فهمى وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى ويعقوب سامى .

(20) Ibid, F.O, Sept. 18, 1885.

(21) Ibid, F.O — Colonial Office, Nov. 1885.

(22) Ibid, Mahmoud Samy, Abdel Al Helmy, Toulba Esmat — Rosbery, Colombo, March 15, 1886.

(23) Ibid, Baring — F.O, Cairo, May 15, 1886, No. 214.

تولى بيرنج منصب قنصل انجلترا العام فى سبتمبر ١٨٨٣ ، وأطلق على شاغل هذا المنصب فى ظل الاحتلال المعتمد البريطانى .

(٢٤) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ ، محضر ١٣ مايو ١٨٨٦ .

(25) F.O. 78, op. cit., Baring — F. O, Cairo, Sept. 7, 1886.

(26) Broadley : op. cit., Vol. III, Nov. 22, 1886.

(27) F.O. 78, Op. Cit., Gordon — Stanhope, Colombo, Dec. II, 1886, No. 460.

(28) Ibid, Downing Street, Jan 27, 1887.

(29) Ibid, Cairo — F.O, Cairo Feb. 10, 1887, No. 102.

(30) Ibid, Note to The Marquis of Salisbury, March 17, 1887.

(31) Ibid, Baring — F.O, Cairo, May 9, 1887, No. 294.

(32) F.O. 78/4589, Cairo — F.O, Cairo, April, 11, 1891, No. 86, knutsford — Havelock, Aug. 17, 1891, No. 245, Havelock — knutsford, Oct. 14, 1891, No. 245.

نالت زوجتا محمود فهمى ويعقوب سامى نفس الحق ، محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ ، ٧ يوليو ١٨٩٤ ، ٢ سبتمبر ١٨٩٩ .

(33) F.O. 78/4966, Arabi — Ridgeway, Kandy, May 31 1898, Ridgway — London, Colombo, June 26, 1898, No. 205, Downing Street — Under Secretary of State (F.O.), July 25, 1898, No. 205.

(34) F.O. 78/4268, Gordon — Derby, Colombo, Dec. 19, 1883.

(35) Broadley : op. cit., Vol. III.

خطاب من عرابى الى برودلى فى ١٠ يونيو ١٨٨٣ ، وخطاب آخر فى ٨ ديسمبر ١٨٨٣ .

(36) F.O. 78/4267, Dufferin — Granville, Cairo, April 6, 1883, No. 102.

(37) Ibid, Longden — Derby, Colombo, June 25, 1883, No: 304.

(38) F.O. 78/4268, Toulba Esmat — Secretary of State for the Colonies, Colombo, Aug. 10, 1885.

(39) F.O. 78/4267, Malet — Granville, Cairo, Sept. 5, 1883, No. 394.

(40) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Sept. 18, 1883.

(41) Ibid, F.O — Baring, F.O, Oct. 24, 1883, No. 271, Baring — Granville, Cairo, Nov. 12, 1883, N.o 507.

(42) F.O. 78/4268, Gregorey — Derby, Hyde Park, May 30, 1884, Labouchere — Colonial Office, Twickenham, May 28, 1884, F.O — Colonial Office, F.O, July 24, 1884.

(43) Ibid, Gordon — Derby, Colombo, Dec. 19, 1883, Campbell's Report, Dec. 3, 1883.

(44) Ibid, Downing Street, Nov. 26, 1884.

(45) Ibid, F.O — Gregory, F.O, Dec. 1st, 1884.

(46) Ibid, Downing Street, Dec. 24, 1884, Cairo — F.O, Cairo, Feb. 14, 1885, No. 152.

(47) Ibid, Gordon — Derby, Ceylon, Jan. 28, 1885, No. 39.

لم يعتمد المنفيون على الطبيب المعالج الذى خصص لهم فى البداية ، وانما لجأوا لغيره على نفقتهم .

(48) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Dec. 19, 1884.

(49) Broadley : Op. cit., vol. I, How we Defended Arabi And His Friends, p. IX, Vol. III.

(50) Ibid, vol. III.

خطاب من عرابى الى برودلى فى ٨ ديسمبر ١٨٨٣ .

(٥١) خطاب من بلنت الى عرابى فى ٢٦ أبريل ١٨٨٤ ، الأهرام ، عدد ١٣٩٧٤ فى ١٥ فبراير ١٩٢٣ .

(٥٢) عبد الله النديم ، المصـــدر المذكور ، ص ٧٤ . تزوج عرابى زوجتين فى المنفى .

(٥٣) نفس المصدر ، ص ٧٦ .

(54) Broadley : Op. Cit., Vol. III, Jacoub Samy — Broadley, Colombo, June 6, 1887.

(55) Ibid, The Times of Ceylon, July II, 1887.

(56) Ibid.

(57) Ibid.

(58) Ibid.

(59) Ibid, Toulba Esmat — Broadley, Kandy, March 14, 1894.

(٦٠) عبد الله النديم ، المصدر المذكور ، صص ٧٤ — ٧٦ .

(61) Broadley : Op. cit., Vol. I, How we Defended Arabi. And His Friends, p. VII.

(62) F.O. 78/4267, Napier — Blunt, Cairo, April 16, 1883.

(٦٣) خطاب بلنت الى عرابى فى ٢٦ ابريل ١٨٨٤ ، الأهرام ، عـــدد ١٣٩٧٤ فى ١٥ فبراير ١٩٢٣ .

(64) Broadley . op. cit., vol. II,

خطاب من طلبة عصمت الى برودلى فى ١٩ فبراير ١٨٨٣ .

(65) F.O. 78, Op. Cit., Dufferin — Granville, Cairo, April, 28, 1883.

(66) Ibid, Longden — London, Colombo, May 10, 1883, Derby — Longden, May 14, 1883.

(67) Ibid, Longden — Secretary of State, Colombo, May 22, 1883, Toulba Esmat — Secretary of State (for the Colonies), Colombo, Aug. 10, 1885.

(68) Ibid, Colonial Office, June 19, 1883.

(69) Ibid, Douglas — Derby, Colombo, Aug. 20, 1883, F.O. 78/4268, Toulba Esmat — Secretary of State (for the Colonies), Colombo, Aug. 10, 1885.

(70) F.O. 78/4268, Op. Cit.

(71) Broadley : Op. Cit., Vol. III, Toulba Esmat — Broadley Clombo, Jan. 22, 1886.

(72) Ibid.

خطاب من عرابى الى برودلى فى ٢٢ ديسمبر ١٨٨٥ .

(73) Ibid.

(74) Ibid.

خطابات فى ١٢ مارس ، ١٠ مايو ، ٦ يونيو ١٨٨٧ .

(٧٥) أحمد عرابى ، ص ٦٦١ .

(76) F.O. 78, Op. Cit., Gordon — Hollaud, Nuwara Eliya, Sept. 19, 1887, No. 394.

(77) Ibid, F.O — Cairo, F.O, July 27, 1888, Cairo — F.O, Cairo, Aug. 12, 1888, No. 279.

(78) Ibid, Downing Street, Dec. 7, 1888, F.O — Baring, F.O, Dec. 7, 1888, No. 235.

(79) Blunt : My Diaries, Part I, P. 30.

(80) F.O. 78/4589, Downing Street, June 26, 1890,Gordon — Kuntsford, Colombo, May 22, 1890.

(81) Blunt : My Diaries, part I, p. 30.

(82) F.O. 78, Op. Cit., Baring — F.O, Cairo, June 28, 1890.

(83) Ibid, Aug. 26, 1890.

(٨٤) من المعروف انه كان لبلنت وبرودلى دورهما فى العمل على توصيل القضية للبرلمان البريطاني خاصة عقب تشكيله الجديد عام ١٨٨٦ ،
Broadley : Op Cit., Vol. III.

خطاب من يعقوب سامى الى برودلى فى ٨ ابريل ١٨٨٦ .

(85) F.O. 78, Op. Cit., Colonial Office, Aug. 16, 1890.

(86) Ibid, Downing Street, Nov. 7, 1890, Havelock-knutsford, Colombo, Dec. 10, 1890, No. 399, F.O. Colonial Office, F.O, Nov. 15, 1890.

(87) Ibid, Downing Street, Jan. 2, 1891.

(88) Ibid, Ledivant — Colonial Office, Bangalore, Dec. 3, 1890, F.O — Colonial Office, F.O, Jan. 8, 1891.

(89) Ibid, Eastern Department, April 16, 1891.

يذكر عرابى أن جنازة عبد العال حلمى قد حلقت فوقها أسراب من الطير مما أخـذ العجب بالناس لهذه الظاهرة الغريبة ، واعتبر ذلك من كراماته . أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٦١ .

(90) Ibid, Dawning Street, April 25, 1891, Havelock — knutsford, March 27, 1891.

(91) Ibid, Downing Street, June 8, 1891.

(92) Ibid, Havelock — knutsford, Kandy, June 23, 1891, No. 246, Principal Civil Medical Office, Colombo, June 17, 1891.

(93) Ibid, F.O, July 23, 1891, F.O — Colonial Office, F.O, Aug- 4, 1891.

(94) Ibid, F.O — Colonial Office, Aug. 24, 1891.

(95) Ibid, The Governor of Ceylon — knutsford, Aug. 12, 28, 1891.

(96) Ibid, Police Office, Colombo, Sept. 24, 1891.

(97) Blunt : My Diaries, Part I, p. 45.

(98) Ibid, p. 54.

(99) F.O. 78, Op. Cit., Pall Mall Gazette, Jan. 27, 1892, An Interesting Chat with Arabi Pasha «Our Days are Drawing to a close».

(100) Ibid, Parliamentary Question.

(101) Blunt : My Diaries, Part I, Sept. 3, Oct. 19, 1892, pp. 74, 80.

من الملاحظ أن الاهتمام منصب على عرابى دون رفاقه حيث فرضت الزعامة نفسها عليه فى المنفى ، ولا يعنى ذلك أنه المقصود وحده ، وانما استخدم اسمه ليكون مرفقا به باقى أسماء المنفيين تلقائيا .

(102) F.O. 78, Op. Cit., Cromer — F.O, Cairo, Dec. 2, 1892.

فى ٢٤ مايو ١٨٩٢ لقب بيرنج بلقب لورد كرومر .

(103) Ibid.

(104) Blunt : My Diaries, Part I, pp. 92, 93.

(105) Ibid, pp. 94, 95.

(106) Broadley : Op. Cit., Vol. III, The Daily Graphic, May 27, 1901.

من الملاحظ أن عرابيا لم يبد ندما على ما قام به .

(107) F.O. 78, Op. Cit., Toulba Esmat — Colonial Secretary, Colombo, July 14, 1893.

(108) Ibid, Cromer — F.O, Ramleh, Sept. 4, 1893.

(109) Ibid, F.O — Colonial Office, Sept. 20, 1893.

(110) Broadley : Op. cit., Vol. III, Toulba Esmat — Broadley, March 14, 1894.

(111) F.O. 78, Op. Cit., Havelock, Kandy, July 14, 1894, No. 247, Colonial Surgeons Office, Report by Dr. Rockwood, Report by Dr. Kynsey.

وكان أبرز ما كتبه مؤلف « البحر الزاخر فى تاريخ العالم واخبار الأوائل والأواخر » .

الفصل الرابع

الخلاص

كان من الصعب استمرار الأوضاع على ما هى عليه ؛ فحالة المنفيين تزداد سوءا ، والمساعى تمضى على دربها من أجل الاستحواذ على أية نقطة يمكن افادتهم بها ، وبالفعل فقد تمكنت من أن تنحت فى الصخر ، ولاح أن طريق النهاية قد قرب ، وانعكس ذلك على بعضهم . بينما ألقى العبء على كاهل البعض الآخر ، الذى ازدادت عليه المعاناة حتى شاعت الارادة بخلاصه .

مع تولى مصطفى فهمى رئاسة مجلس النظار فى ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ . وابتعاد مصطفى رياض عن التحكم بدت بوادر طفيفة توحى بأنه قد قرب فك المنفيين من أسرهم ؛ ففى لقاء جمع بلنت ومحمد عبده فى ١٤ مارس ١٨٩٦ ، أفاد الأخير عن التوقعات المنتظرة بشأن السماح لعرابى بالانتقال الى قبرص أولا ثم العودة الى مصر . وأن رئيس النظار أخبره بذلك ، وأن كرومر يرحب بالخطوة فى حالة موافقة الخديو ، وعليه سارع بلنت وقابله وفتح معه الموضوع ؛ فعاد عباس حلمى ليسأله عن عرابى ؛ فلقى اجابة تشيد به ، حيث وصفه بلنت بأنه وطنى شريف ، وصرح بتحمله مسئولية ولائه ؛ فوعده الخديو خيرا وبمناقشة الأمر مع رئيس نظاره (١) .

وتابع المنفيون أسلوبهم المعهود ، وفى مايو ١٨٩٧ أرسل طلبة عصمت ويعقوب سامى ومحمود سامى التماساتهم التى تعددت جهاتها . الى الملكة فيكتريا والى رئيس وزرائها والى كرومر . يستعرضون فيها قصة نفيهم وما يقاسونه ، وتقدم العمر بهم ؛ وكيف أنهم يصلون ويدعون من أجل الرجوع الى وطنهم أو حتى الانتقال الى قبرص . وأنهم لم يعد لهم حول ولا قوة ؛ اذ زهقت أرواحهم ، واندثر ما يخشى أن يفعلوه ، وليس فى وجودهم بمكان قريب من مصر أى خطر عليها . وأن تجربة بقائهم فى سيلان خمس عشرة سنة دليل على استكانتهم

وعدم تدخلهم فى السياسة • ومن اللافت للنظر أنهم يبعثون بخطاب الى ولسلى Wolseley القائد العام البريطانى يناشدونه ويرجونه الوساطة فى قضيتهم ، وبذلك تتبين درجة الخضوع التى فرضت نفسها عليهم ، كما أيقنوا ما للمعتمد البريطانى من نفوذ ، وامكانية تأييده لهم ، فقدموا له فروض الطاعة والولاء ، ويبلغون برودلى بهذه الالتماسات ويطلبون مساعدته (٢) • وفى نفس الوقت تكتب زوجاتهم وبناتهم متظلمات للملكة البريطانية ، وتحمل شكواهن نفس معنى ما احتواه التماس الأزواج (٣) • ويبعثن بعريضتهن الى الخديو متضرعات اليه ، ويرسلن الى رئيس النظار يستعطفنه لتحقيق طلبهن(٤) •

ويرفق كرومر مع كتابه الى سولسبرى فى ١٠ يونيو ١٨٩٧ صورة الالتماس الذى وصله من المنفيين الثلاثة ، ويصرح له بأنه لا شك فى أن الغرض الأساسى من الالتماس هو طلب العودة لمصر ، وينقل له تحرياته ، وتدل على الخط غير الثابت ، فيذكر أن النظار لديهم حذر شديد فى تلك المسألة خاصة مع ظروف الاضطرابات التى تمر بها مصر ، ويبين أنه لا يمكن الحكم على الوضع السياسى اذا عاد المنفيون ، وبالتالى ليس من الحكمة المجازفة بهذه العودة ، ومن ثم فانه يرى بقاءهم فى مكانهم ، ويشير الى أنه يجب وضع المتغيرات الكبيرة التى حدثت فى مصر منذ عام ١٨٨٣ فى الاعتبار ، وأن نفى عرابى ورفاقه كان بسبب تزعمهم لثورة ضد توفيق ، وأن الخديو الجديد وضع نفسه فى مرتبة الزعامة ، فبدأ بالحركة العربية ثم تحول للحركة المضادة لأوربا (٥) • وعليه يتضح أن موقف المعتمد البريطانى الذى كان قد بدا بأنه تعاطف مع المنفيين ، انعطف الى سيرته الأولى • وتلقت وزارة المستعمرات كتابا من الخارجية البريطانية يفيد رفض الحكومة المصرية التماسات المنفيين الثلاثة وعائلاتهم (٦) •

ولم يغفل أعضاء البرلمان البريطانى عن توجيه الأسئلة بين الحين والآخر بشأن اطلاق سراح المنفيين بعد قضائهم لتلك الفترة الطويلة

فى النفى ، وسياسة الحكومة البريطانية — خاصة بعد الانتخابات — فى هذا الصدد [٧] . وساءت حالة طلبة عصمت الصحية وتدهورت . وبعثت سيلان الى لندن ، وبلغ كرومر باجراء اتصالاته : فالتقى مع رئيس النظار ، الذى عرض الحالة على الخديو ، فعارض وقال انه اذا عاد طلبة عصمت الى مصر ، فسيطالب باقى المنفيين المعاملة بالمثل . فبين له المعتمد البريطانى أن وضعه يختلف عن باقى رفاقه : وعند التصريح له بالعودة ، يخطر الباقون بأن ما تم حالة فردية استثنائية نظـــرا لارتباطها بمرضه الخطير ، ولا تطبق عليهم ، كما ذكر أن صاحب الشأن ليس له دور هام كزملائه ، وقد أتى عليه الدهر وامكانياته معدومة [٨] .

ونجح كرومر ، واتصلت الخارجية البريطانية بوزارة المستعمرات ، وأبلغتها نبأ الموافقة على التصريح لطلبة عصمت بالعودة الى مصر : وأن هذا التصريح خاص به ولا ينطبق على زملائه ، وليس من حقهم المطالبة به [٩] . وفى ٢٧ يناير ١٨٩٩ صدر الأمر العالى بالترخيص له « بالعودة الى القطر المصرى والاقامة فيه » [١٠] . واستفسر المعتمد البريطانى من لندن عن تحديد ميعاد السفر ، فطلبته من حاكم سيلان . فأعلمها بأنه سيبحر على الباخرة كونيجن لويس Conigen Luise فى ١٧ فبراير ، ثم عدل الميعاد فأبحر على الباخرة بروسن Preussen فى ١١ فبراير [١١] . ولم تمض الا شهور قليلة وتوارى فى تراب مصر .

وتنفيذا للتعليمات وجه حاكم سيلان فى ٣١ يناير ١٨٩٩ خطابا الى المنفيين الأربعة معلنا أن الخديو اعتبر حالة طلبة عصمت اضطرارية وأن الحكومة البريطانية وممثليها فى سيلان والقاهرة لا يعتبرون فى عودته حقا لهم أو ايذانا بالأمل فى رجوعهم الى مصر ، حيث لا ينطبق وضعه على وضعهم بأى حال من الأحوال . وجاء رد عرابى ليبين فيه أنه استلم الخطاب وفهم مضمونه ، ويشكر الحاكم والخديو على التصريح لزميله بالعودة ، ويشير الى التزامه بكلمة الشرف التى أعطاها منذ

ست عشرة سنة ، ويشيد بالحكومة السيلانية على حسن معاملتها ، ويفضى بالشكر لحكومة جلالتها ، ويرجو أن تكون قد تغيرت وجهة نظرها فيه ، وأخيرا يعبر عن أمنيته فى قضاء المتبقى من عمره مع عائلته فى مصر • واقتصر رد الباقين على تقديم وافر الشكر على ما قامت بـه الحكومة البريطانية وحاكم سيلان نحو طلبة عصمت ، ورفع الحاكم صورة خطابه والردود عليه للندن (١٢) •

ولم يكف المنفيون على المطالبة بالعودة بعد انحدار حالتهم الصحية ، وارتفعت أصواتهم بالشكوى ، فيلتمس على فهمى العودة ، ويرفق التماسه تقرير الطبيب المعالج ، والذى يقرر أنه تحت العلاج منذ تسع سنوات لاصابته بالدوزنتاريا وعسر الهضم وتضخم الطحال والكبد والاكزيما باليدين ، وأن غذاءه الوحيد هو اللبن ، وصرح الطبيب أن حالته الصحية فى اضمحلال ، وامتداد اقامته فى سيلان سيقضى على حياته ، وقد أشرك هذا الطبيب زميلاً معه ، فاتفقا فى التشخيص والرأى ، ومن ثم أرسل حاكم سيلان الى المكتب الصحى لوضع تقرير رسمى عن الحالة ، فسجل الطبيب أنه من المعلومات التى حصل عليها من كاندى — دون أن يقوم بالكشف عليه — علم أنه يتمتع بصحة عن زملائه (١٣) • وأخذ الحاكم بهذا التقرير •

وحدث نفس الشىء مع يعقوب سامى الذى التمس العودة ، وأرفق هو الآخر تقرير الطبيب المعالج ، واشتمل على أنه تحت العلاج منذ سنتين نتيجة لانهيار عصبى وضعف عام ، وأنه أصيب مؤخرا بشلل فى نصفه الأعلى ، وحالته الصحية حرجة ، بالاضافة الى تقدم سنه ، وانتهى التقرير الى ضرورة عودته لبلده ، وصادق طبيب آخر عليه (١٤) • وبعد مضى خمسة أشهر عاد الطبيب المعالج وكتب تقريرا عن حالة المريض الخطيرة والميئوس منها ، ووجوب اطلاق سراحه ليرى أرض وطنه قبل وفاته • وبالرغم من ذلك فان من وكلت لهم المهمة الرسمية بالكشف عليه ، لم يقوموا به وقرروا فى التقرير الرسمى أنه بحالة

جيدة وأحسن المنفيين صحة ، ولم يضعوا اعتبارا لأى تقرير سابق . وعقب تسعة عشر يوما من تقريرهم توفى يعقوب سامى فى ٣٠ أكتوبر ١٨٩٩ (١٥) • واعترف المسئولون البريطانيون أن سبب الوفاة يرجع الى الاهمال فى الكشف الطبى عليه (١٦) • وهكذا سقط الواحد تلو الآخر . ودفن ثلاثة فى أرض سـيلان بعد أن أعياهم المرض وقضـت عليهم الغربة •

وساءت صحة محمود سامى ، وكتب مفتش عام الصحة تقريرا . وكان صـادقا هـذه المرة ، ذكر فيه أن المريض يعـانى من جلوكوما Glucoma فى عينيه أزمنت معه ، وكادت أن تفقد عينه اليمنى البصر ، ولا تقوى عينه اليسرى على عد أصابع اليد ، وهذا المرض ليس لـه علاج وسينتهى بالعمى لتمزق القرنية ، وأنه يعانى من اكتئاب نفسى راسخ وشديد نتيجة مرضه ووحدته بأرض أجنبية ، ولذلك أثره السىء فى النهاية • وأرفق ردجوى التقرير بكتاب له الى لندن يعرض فيـه حالة المريض الصحية المتدهورة ، ويشير الى أنه « ربما تصرح له الحكومة المصرية بعودته الى وطنه بالنسبة لظروفه » (١٧) •

وتنقل لندن اقتراح حاكم سيلان الى كرومر لاجراء اللازم (١٨) ، فيلتقى بالخديو ويدور الحوار بينهما حول باقى المنفيين ، ويخرج بعدها ليكتب لرئيس الوزراء البريطانى « لم أتمكن من عمل شىء سوى موافقة الخديو على عودة محمود سامى فى الحال » (١٩) • وتكتب الخارجية البريطانية فى ١٢ يوليو ١٨٩٩ الى وزارة المستعمرات لتفيدها بالعفو الخديوى عن محمود سامى ، وأنه أصـبح يمكنه العودة لمصر ، وتطلب تبليغ حكومة سيلان (٢٠) • وفى اليوم نفسـه يصـدر الأمر العـالى بالترخيص له « بالعودة الى القطر المصرى والاقامة فيه » (٢١) • وعندما نقل اليه حاكم سيلان النبأ ، ما كان منه الا أن بعث بخطاب شكر لكل من الملكة فيكتوريا والخديو لصدور العفو عنه ورجوعه الى وطنه (٢٢) •

ولم يعد هناك فى جنة آدم سوى عرابى وعلى فهمى ، وكان كرومر قد أرجأ النظر فى التماساتهما لوقت لاحق ، وكما عبر « ربما تكــون الفرصة متاحة فى العام القادم » (٢٣) • معنى هذا أنه اتبع سياسة المماطلة حيث تتفق مع رغبته ، فلم يجزم فى أمر العفو ، بل وضــعه فى أيدى الخديوى ونظاره رغم يقينه بتلك الظروف التى مرت بالمنفيين وقضت عليهم ، حقيقة أنه قام ببعض المحاولات التى تشير الى عكس ما يبطن ليموه وينأى بنفسه عن اللوم ويحمل غيره مسئولية الرفض ، ونجح فى ذلك وخاصة أن الخديو كان موقفه معروفا ، فيتحدث اليــه بشأن عودة عرابى مصرحا بأنه فقد قوته وصلابته ، وهو يعلم تماما أن مثل هذا الطلب سوف يتبرم منه ويأتى بالنتيجة المضادة ، وبالفعل تكدر عباس حلمى وشكاه لبلنت وتحدث بانفعال عنه ، وبين كيف يحزنه موقفه اذ سبق ورفض السماح للخديو السابق اسماعيل بالعودة الى مصر وكان يعانى من مرض السرطان وانحصر طلبه الوحيد فى أن يرى القاهرة قبل موته • وحاول بلنت تهدئة روع الخديوى بما يكون فى صالح عرابى ، ولكنه لم يتمكن ، فيذكر « واستغرقتنا المناقشة فى هــــذا الموضوع طويلا ، وحينما كنت فى طريقى الى المغادرة ، انتهت بوعده المتأرجح بالعفو عن عرابى » (٢٤) •

وبذلك ينكشف أنه بالرغم من أن المنفيين السبعة قد تفرقوا ولم يعد لهم كيان يعمل له حساب ، فســقط أربعة منهم صرعى المرض ، والخامس فى طريق النهاية ، ولم يبق الا اثنان فى المنفى أصابهما الوهن والمرض ، الا أنه طالما أن أحدهما عرابى تسقط تلك الاعتبارات فى نظر الخديوى على أساس أنه الرأس المدبرة والمفكرة ، وأن رفاقه ليست لهم قائمة من غيره ، حقيقة أنه حمل حقدا على على فهمى ، ولكن نقمته انصبت على عرابى • وانهارت نفسية المنفيين ، ولم يغفلا لحظة عن طلب العودة ، وتلقى برودلى خطاباتهما فى هذا الشأن ، ويصــف لــه على فهمى انحدار صحته وكبر سنه ومرض ابنته ونصــيحة الطبيب بتــرك سيلان ، ويسجل له عرابى ضيقه ومعاناته لهذه السنوات العجاف ،

ومن الملاحظ أنه أدخل زميله معه فى الشكوى ، وكان برودلى يرد عليهما ويعدهما بالعمل على تحقيق رغبتهما (٢٥) . وفى يناير ١٩٠١ انتشر القول عن العفو قبل أوانه مما سبب كدرا وضجرا للمنفيين ، وكان عرابى يأمل أن يكون عيد ميلاد الخديوى فرصة لاسترداد حريته ، ولكنه مر دون حدوث ما ينتظره ، فكتب الى صديق له فى ٢٠ فبراير ينعى حاله ويعزيه فى وفاة الملكة البريطانية (٢٦) .

واستمر الوضع متجمدا حتى قام دوق كورنول ويورك ولى عهد بريطانيا وزوجته بزيارة لجنة آدم ، فوجدها عرابى فرصة لمقابلته وعرض القضية عليه ، وطلب الوساطة منه ، وتمت المقابلة فى ١٣ ابريل ، واستغرقت بعض الوقت ، وأعطاه الدوق وعدا ملكيا بأنه سيطلق سراحه حين عودته لبريطانيا (٢٧) . ويكتب عرابى بعد المقابلة لصديقه ليعبر له عن الأمل الذى راوده عقب كلمة الشرف التى حصل عليها من الدوق ، ويصور له اشتياقه للعودة لوطنه لينهى حياته فى ترابه ، ويرى أهله وناسه ، ثم يشير الى أنه اذا تحطمت أمنيته فليس أمامه الا أن يصير حتى يدثر فى تراب الغربة بجوار أصدقائه ، وأنه فى هذه الحالة سيحكم التاريخ على قضيته برحمة ، وأما فى الدار الآخره فحكم الله عادل على الجميع (٢٨) .

وفى ذلك الوقت كان بلنت قد توصل لامكانية الحصول على العفو عن طريق الضغط الملكى ، ومن غير المستبعد أن يكون أعلم عرابى بها واتفقا على تنفيذها ، وفى مقابلة له بالأدميرال لامبتون Lambton قائد اليخت الملكى — يعرف عرابى وأدلى بشهادة لمصلحته وقت المحاكمة ، والتقى به فى سيلان فى عام ١٨٩٨ ، وصحب ولى العهد فى زيارته الأخيرة للجزيرة — حادثه فى مسألة العفو عن عرابى ليقينه من مركزه لدى سيده وقدرته على السعى لديه لتحقيق المطلوب ، وعاد لامبتون والتقى ببلنت بحجة مشاهدة جواده ودار الحديث طويلا عن عرابى (٢٩) . وبديهى أنه نقله للدوق .

ولم يكن معتادا أن تقحم الأسرة المالكة البريطانية نفسها فى الأمور السياسية وتفرض رأيها ، ولكن حدث أن تدخل ولى العهد فى هذه المسألة لدى الخارجية البريطانية (٣٠) . والواقع أن الحكومة البريطانية اتسم موقفها بالتأرجح ، وسلمت كرومر الأمر ، ومما يذكر أنه قد راودت جلادستون نية السماح للمنفيين بالعودة ، ولكنه لم يمكنها (٣١) . وعليه فان ما أصر عليه الدوق لم يتعارض مع السياسة العامة ، وبالتالى رأت الخارجية البريطانية تحقيق الطلب ، فضغطت على ممثلها فى مصر للتنفيذ (٣٢) .

وعندما أدرك كرومر الموقف أقصى طريقته جانبا ، وقام بتنفيذ تعليمات لندن دون تباطؤ فى الوقت الذى لم يظهر فيه انصياعه واستسلامه ، وانما حاول اعطاء الانطباع بتعاطفه مع المنفيين ، فيكتب للندن ليبين مجهوداته لدى الخديوى والحاحه الشديد عليه لعودة عرابى وعلى فهمى ، ثم يسجل « وانى على عكس ما يرى نظار مصر من أنه حتى لو أراد هذان الشخصان القيام بعمل فانهما لا يقويان اذ انتهيا وأصبحا منهوكى القوى » (٣٣) . وينقل جزءا من الحديث الذى جرى بينه وبين عباس حلمى ، وأن الأخير عقد المقارنة من جديد ، وسأل كرومر كيف يمكن السماح لهما بالعودة لمصر ، بينما لم يسمح لجده بها ، فأجابه بأن الوضع يختلف ، ثم عرج الخديو على ما قام به على فهمى تجاه أبيه ، وأنه بعد أن كان يعمل معه انقلب ضده ، ووصفه بالمحرك الأصلى للثورة (٣٤) . ولكن المعتمد البريطانى بعد اعادة استعراض ضعفهما أوضح له أن ولى العهد البريطانى يصر على صدور العفو عنهما ، ومن ثم رضخ وسلم بالأمر ، ويعلم كرومر حكومته « لقد وافق الخديو على عودتهما ، ولكن الموافقة كانت على مضض ، وأرجو ابلاغ سموه — أى الدوق — بالنتيجة ، وعند صدور الأمر العالى بالعفو عنهما سأنقله لردجوى حاكم سيلان » (٣٥) .

ويعود المعتمد البريطانى ليبلغ الخارجية البريطانية بلقائه مع

رئيس النظار قبل سفره للاسكندرية واخطاره باستعجال الخديوى الذى كان بها وطلبه منه أن يشرح له وجوب تحقيق رغبة الدوق ، ومرة أخرى يؤكد أنه يتعارض مع مصطفى فهمى فى وجود أية خطورة من عودة المنفيين ، لأن الحركة العرابية قد ماتت ، ولن يقوى أى من أتباع عرابى الذين لا يزالون صغار السن على القيام بأى عمل (٣٦) . وبناء على هذه الضغوط صدر الأمر العالى الخديوى فى ٢٤ مايو ١٩٠١ بالترخيص لعرابى ورفيقه بالعودة الى مصر ، وعلى الفور أبلغ كرومر حاكم سيلان مشيرا الى أنهما يمكنهما العودة فى أى وقت يناسبهما ، وأفاد لندن بذلك (٣٧) . وأثارت هذه المسألة مناقشة فى مجلس اللوردات حيث تقدم نيوتن Newten بسؤال لوزير الخارجية يستفسر فيه عن مدى ارتياح الحكومة المصرية لموافقتها على العودة ، اذ كان معلوما أن الموافقة فرضت عليها ، وفى أثناء المناقشة بين اللورد أن عرابى عومل بطريقة كريمة لم يسبق لها مثيل ، ويأمل فى ألا يكون لعودته الى مصر وازع لحدوث أية اضطرابات فيها (٣٨) .

وفى سيلان صدر الاعلان الرسمى بالعفو ، وأبلغ المنفيان به فى ٢٦ مايو ، وكانت برقية بلنت بالتهنئة قد وصلت عرابى قبل صدور الأمر العالى بيوم (٣٩) . وتحقق الحلم ، وأبرق عرابى لردجوى يترجم له شعور الفرح الذى انتابه ، ويطلب منه نقل شكره العميق الى الملك البريطانى وحكومته والخديو ، ثم يصف حالته المالية المتعسرة ، وأن خمسين جنيها لا تكفيه هو وعائلته بعد أن أصبح له ستة عشر من الأولاد (٤٠) . ويكتب لبرودلى يعلمه بأن مصر التى سيعود اليها ستختلف عما تركها منذ تسعة عشر عاما ، وأن مستوى المعيشة مرتفع فيها عن سيلان ، ويشكو فقره ، وأنه ضاع كل شىء منه وغدا عليل الصحة وضعيف البنية ، وأن العفو ليس عفوا حقيقيا يشمل رد الممتلكات والرتب والنياشين ويحمل صور الاحترام والشرف ، ولكنه يعنى تغيير المكان فقط ، اذ لا يزال الخديو على موقفه غير الودى (٤١) . ومن ثم يتضح أنه لم يكن راضيا بما منح ، وبعد أن كان يتوسل

ويتضرع للعودة ، فقدت أهميتها لديه حين حصل عليها وراح يبحث عن استرجاع ما ضاع منه ، وتلك هى طبيعة الانسان • ويكتب مرة أخرى لبرودلى ويطلب منه بذل كل جهده ليزيل عنه المتاعب التى تنتظره ، وأنه يمكنه بمساعدة دفرن الحصول على مورد مالى يناسبه فى ظل الظروف الجديدة (٤٢) •

وبعثت الخارجية البريطانية لكرومر بخصوص استعلام حاكم سيلان عما اذا كان سفر عرابى وعلى فهمى سيكون على نفقة الحكومة المصرية ، وعددت الأفراد المرافقين ، وأدرجت معهم الخدم ، وتفاهم المعتمد البريطانى مع المسئولين ، ووافقت الحكومة على تحمل نفقات السفر ، ورفضت التكفل بمصاريف الخدم ، وكان على فهمى يرغب احضار بعضهم ، ومن الطريف أن كرومر عندما كتب للخارجية البريطانية ليعلمها ، ينتهز الفرصة ليبين أن عرابى لم يعد باشا حيث جرد من رتبه منذ عام ١٨٨٢ وأصبح يدعى أحمد عرابى أفندى ، وجاء ذلك بناء على أنها لقبته بهذا اللقب (٤٣) •

ومضى المنفيان يعدان نفسيهما للسفر ، وغادر على فهمى جنة آدم فى ١٥ أغسطس ، أما عرابى فتأخر عنه شهرا ، وكان رحيله من الجزيرة صورة حية للمكانة التى حصل عليها طوال فترة اقامته • وقبل مغادرته لكاندى أقيمت له الاحتفالات التى اتخذت مظاهر متعددة ، وتعلق احدى الصحف السيلانية بقولها « ان الابتهاج كان عظيما لهذا الرجل الدين الذى وجد وداعا على نطاق واسع نظرا لمركزه وشعبيته » (٤٤) • وقبل سفر عرابى قام الأعضاء البارزين للجماعة الاسلامية بدعوته هو وأولاده وأحفاده لعشاء وداع بالمدرسة الاسلامية للبنين ، وزينت بالأعلام وانبعثت منها الأضواء ، واستقبل عند وصوله استقبالا حافلا ، وحضر الحفل جم غفير من المسلمين البارزين ، وألقيت الكلمات التى أشادت بالضيف ومدحته ، وكانت باللغة العربية ، ثم ترجل عرابى خطبته وأثنى على المحتفين به وعظم أهل سيلان ، ومما يذكر أنه بدأها بالشكر لله

وللك بريطانيا وابنه دوق كورنول ويورك وللخديو لمنحه حريته ، وعزفت الموسيقى والتف المحتفون حوله [٤٥] • وعقب الحفل زار أصدقاءه من الجماعة الاسلامية ، وعندما استقل القطار قاصدا كولومبو ، غصت أرصفة المحطة بالمودعين له [٤٦] •

ومثلت الأيام التى قضاها عرابى فى كولومبو منذ وصوله اليها فى ٤ سبتمبر انتظارا للباخرة الألمانية التى ستقله الى السويس نموذجا للحب والوفاء والاخلاص الذى يكنه السيلانيون لتلك الشخصية ، وأقامت المدرسة الحميدية احتفالا ، حيث استقبله جميع أبنائها — ٢٤٠ تليمذا — والقائمون عليها ، وعبروا عن أسفهم لتركه الجزيرة ، وتمنوا له مستقبلا سعيدا ، وقدموا له تهنئة وداعية تناولت مآثره فى سيلان ، مكتوبة على ورق مزخرف بالذهب والنقوش الفيروزية اللون ؛ وبعد قراءتها لفت فى حرير أخضر ثم وضعت فى أسطوانة من الفضة ؛ وأعقب ذلك عشاء وداع أقامه له المسلمون [٤٧] • وزار عرابى منازل وجهاء كولومبو من الذين ربطتهم به صلة وثيقة ، وعندما حان وقت الرحيل ، اتجه الى الباخرة ، وودعه على ظهرها العديد من المسلمين ، وقرأوا عليه كلمة كتبت على قرطاس مذهب الحواشى ذى لون لازوردى ، يدعون له فيها بالتوفيق ، ويذكرون مناقبه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفعل الخير كالحث على انشاء المدارس واحياء علوم الدين بها ؛ وبعد قراءتها وضعت فى صندوق من الفضة [٤٨] • وهكذا كان تكريم عرابى ووداعه . ويتبين أنه انفرد بهما دون رفاقه . وهذا أمر طبيعى حيث تمكن من أن يستحوذ على محبة الناس ويجذب الأنظار اليه ويتمتع بتلك الشخصية القوية التى لم ينسلخ منها حتى أثناء نفيه •

وبوصول عرابى الى السويس أبرق الى قائمقام الخديوى طالبا صدور الأمر بنقله مع عائلته الى القاهرة على نفقة الحكومة ؛ فأجيب الى طلبه ، وكان يحمل معه ١٤٠ طردا ، نصفها خاص بالأمتعة ؛ والنصف الآخر عقل أشجار نادرة ، وثلاث بقرات ليس لها مثيل فى مصر ؛ ونقل

ذلك جميعه بصحبته على نفس القطار (٤٩) . وارتكب عرابى خطأ حينما صعد له مندوب صحيفة المقطم — ذات صبغة انجليزية — قبل نزوله من الباخرة فى السويس ، فتحدث معه عن أهالى سيلان وكرمهم لـــه ، وكان من المفروض أن يمضى على هذه الوتيرة ، لكنه أشاد باصلاحات بريطانيا فى مصر ، ثم أظهر ما يعنى أنها صاحبة فضل عليه ، وفى نهاية حديثه دعا للخديو لصدور أمره بالعفو عنه (٥٠) .

وكان هذا التصريح الأداة التى استخدمت ضده ، وتعرض بسببه للنقد ، ففى حديث لبلنت مع محمد عبده أوضح الأخير أنه كان على عرابى التأكد مما قاله قبل أن يبوح به ، لأن ما ذكره سبب له المتاعب (٥١) . والواقع أن فترة التســع عشرة سنة غيرت شــكل علاقته ببريطانيا ، فأصبحت لها السمة التى تختلف عن فترة توليه زعامة الثورة ، فعقب وصوله الى سيلان يكتب لصديقه أحمد رفعت يقول « لا يهمنى شىء سوى تحســين حــال الأمة المصرية ، وذلك موكول لعــدالة الحكومة الانجليزية ، وانى واثق بأمانتهم كل الوثوق » (٥٢) . وفى خطــاب له الى برودلى يذكر « انى مترقب لما تأتى به الحكومة الانجليزية من الاصلاح فى مصر » (٥٣) . اذن فالاعتقاد بذلك سيطر عليه ، ومن ثم فان ما أقدمت عليه السياسة البريطانية بهدف خدمة مصــلحتها أولا وأخيرا ، اعتبره لصالح مصر مما قلل من شأنه .

وعاد عرابى الى القاهرة فى ٣٠ سبتمبر ١٩٠١ ، ورغم أنه كــان هناك تكتم شديد ، الا أن الناس ودعته فى محطة السويس واستقبلته على محطتى الزقازيق وبنها (٥٤) . أما عن وصوله لمحطة مصر ، فيبين كرومر أنه حضر عدد من الجمهور ليشهد قدومه ، وحدثت هتافات قليلة وتصفيق ، ولكن لم تقم مظاهرة من أى نوع ، وجندت الصحف المعارضة له لكتابة المقالات التى تتهمه بأنه جلب الاحتلال البريطانى لمصر (٥٥) . ورصدت على الفور تحركاته ، ورفعت لدار المعتمد البريطانى ، وقــد ساد الاعتقاد بأنه سينزوى جانبا ، ولكن رد فعل وصوله كان بينا وعكس

المتوقع ، فيسجل أحد التقارير « منذ عودته ومنزله لا يخلو من الزوار . وبخاصة الفلاحون ، وأغلبهم يمثل الطبقة الوسطى ، وأيضا يحضر اليه بعض الباشوات ، وعندما يؤدى الصلاة فى مسجد السيدة زينب . يمتلىء عن آخره ، ويحضر آلاف الناس لتحيته ، ويقبلون يديه وملابسه . وكان الأزدحام حوله شديدا مما تعذر معه على البوليس حفظ النظام بخلاف استقباله بالمحطة عند وصوله ... انه منذ كان بالمنفى وقبلها وحتى الآن يعتبر نفسه محامى الطبقة الدنيا والطبقة الوسطى والعامل على التحرير من الباشوات الاقطاعيين والأجانب ، ويسعده أن يرى نفسه له شخصية أمام الرأى العام ، وهذا يجعل الخديو يغار منه . وهذه الغيرة واضحة ضده فى الصحافة الموالية للقصر المؤيدة لمصطفى كامل وحزبه ، وأن علماء الأزهر ينادون بضرورة وقف الزيارات له حتى لا تؤدى لسوء العاقبة كما حدث من قبل » (٥٦) .

وخدم هذا الوضع التخطيط البريطانى : فيذكر التقرير السابق أنه ابان المقابلات التى أجراها عرابى فى مدة أربعة أيام عقب وصوله . كان يمتدح معاملة البريطانيين له ، وكيف أنهم يحترمون جميع الأديان . وبالتالى بدا نصيرا لهم ضد مناوئيهم : حتى ان التقرير ينتهى الى « لا يستبعد أن يكون لعرابى بعد أن أصبح صديقا للانجليز شأن قد يظهر فيما بعد ضد الخديو وأتباعه من معارضى الصحافة والحزب الوطنى » (٥٧) .

ولم تنجح تلك الخطة اذ سرعان ما انفض الناس من حوله . وكما هو معروف عن طبيعة الشعب المصرى : فان العاطفة تجد المكانة لديه . فرغم مرور تلك السنوات الطويلة ، الا أن صورة القائد استمرت فى الخيال ، ولهذا كان الاندفاع اليه دون وعى خاصة من العامة . ولكن بعد هبوط تلك الجذوة الوقتية ، واشتعال الحملات التى جندها الحزب الوطنى للقضاء عليه مستغلا شكل العلاقة التى ربطته بالانجليز فجعلها سيفا مسلطا على رقبته ، جاءت النهاية وأثمرت المجهودات عن القطيعة

له ، للدرجة التى اعتبر برودلى أن عودته لوطنه كانت خطأ ، وقارن بين وجوده فى جنة آدم وما وصلت اليه حالته فى مصر [٥٨] .

وهذا ما كان يتوقعه بلنت وقت صدور العفو ، اذ سجل فى يومياته « جاء العفو متأخرا جدا ، وسيجد عرابى أن العالم خطا سريعا أثناء غيابه ، وأن الحزب الوطنى اتبع خطوطا جديدة لا تتفق معه » [٥٩] . وعاش باقى أيامه يستجدى الخديو وحكومته تارة ، والملك البريطانى وحكومته تارة أخرى فى منح حقوقه المدنية ورد أملاكه ورفع معاشه ، ولم يستجب لأى من مطالبه [٦٠] . وهكذا خرج عرابى من جنة آدم وهو على يقين أن جنة مصر التى يتوق ليدخلها سوف ينعم بها ، ولكن ليس كل ما يمتناه المرء يدركه . وبعد اجتياز طريق الخلاص الوعر والتغلب على العقبات التى اعترضته وذلك الثمن الذى دفع غاليا ، لم يكن هناك شىء فى المقابل .

هوامش الفصل الرابع

(1) Blunt : My Diaries, Part I, pp. 219, 223.

(2) Broadley : Op. Cit., Vol. III, May 17, 20, 1897, F.O. 78/ 5176, Cromer — Salisbury, Cairo, June 10, 1897, No. 85.

(3) F.O. 78, Op. Cit., Kandy, May 20, 1897.

(٤) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ .

(5) F.O. 78, Op. Cit., Cromer — Salisbury, Cairo, June 10, 1897, No. 85.

(6) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, Oct. 5, 1897.

(7) Ibid, Eastern Department, June 17, 1897.

(8) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, 27, 1898.

(9) Ibid, F.O — Cromer, F.O, Jan. 13, 1899, No. 8.

(١٠) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ .

(11) F.O. 78, Op Cit., Cromer — F.O, Cairo, Jan. 25, 1899, No. 27, F.O — Colonial Office, F.O, Jan. 25, 1899, Downing Street, Feb. 10, 1899.

(12) Ibid, Colonial Secretary Office, Colombo, Jan. 31, 1899, W Rigeway — Colonial Office, Ceylon, Feb. 20, 1899, 1899, No. 47.

(13) Ibid, Governor of Ceylon, Nuwara Eliya, April 18, 1899, No. 139, keyt's Report, kandy, April 7, 1899, Hayman's Report, kandy, April 6, 1899, Allanpery, Office of the Principal Civil Medical Officer, Colombo, Apri 8, 1899.

(14) Ibid, Governor of Ceylon, Nuwara Eliya, April 18, 1899, No. 139, keyt and Craib's Report, Kandy, April 7, 1899.

(15) Ibid, Walker — Chamberlain, Colombo, Oct. 11, 1899, keyt's Report, Sept. 12, 1899.

(16) Ibid, Downing Street, Nov. 2, 1899.

(17) Ibid, Ridgeway, Colombo, March 18, 1899, No. 102, Perry's Report March 16, 1899.

عكست أشعار محمود سامى مرارة حياته فى المنفى ، فامتلأت بحنينه للعودة الى وطنه ، الذى صوره بجنة دانية القطوف عبقة الشذى ، أيضـا سجلت شوقه لأهله وناسه ومعاناته من الفراق والغربة والأوجاع ، وشكواه من الزمن وغدره ونفاقه وظلمه ، كما ترجمت احساسه بأن المخلصين للوطن مضطهدون وأن الشرفاء يقاومون وتنزل بهم العقوبة ، كذلك أوضحت تخاذله وانقلابه على الثورة ورجالها ، محاولا التنصل من تبعاتها ، مبرئا نفسـه من أحـداثها ، مكيلا التهم لأتباعها ، مبعدا ومنكرا أى مطامع له كانت من ورائها .

(18) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, May 30, 1899.

(19) Ibid, Cromer — Salisbury, Cairo, July 10, 1899.

(20) Ibid, F.O — Colonial Office, F.O, July 12, 1899.

(٢١) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤١ ، رئاسة مجلس النظار ، قلم عربى ، أمر عال فى ١٢ يوليو ١٨٩٩ .

(22) F.O. 78, Op. Cit., Governor Of Ceylon, Kandy, July 31, 1899.

خطاب محمود سامى مؤرخ فى ٢٠ يوليو ١٨٩٩ ، ومما يذكر ان الخديو أصدر أمره لرئاسة مجلس النظار فى ١٧ مايو ١٩٠٠ بمنحه الحقوق المدنية وجواز امتلاكه ، وردت اليه أملاكه الموقوفة ، وكان الوحيد من بين المنفيين فى جنة آدم الذى نال رضا الخديو . محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ .

(23) Ibid, Colonial Secretary Office, Colombo, July 15, 1899.

(24) Blunt : My Diaries, Part I, April 2, 1900, p. 363.

(25) Broadley : Op. Cit., Vol. III.

خطاب من على فهمى الى برودلى فى ٣ مارس ١٩٠٠ ، خطاب من عرابى الى برودلى فى ٨ مايو ، ٢٩ نوفمبر ١٩٠٠ .

(26) Ibid, The Daily Graphic, May 27; 1901.

(27) Ibid, Bath Herald, Oct. 5, 1911, Blunt : My Diaries, Part II, May 25, 1901.

احمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٧٩ .

(28) Broadley : Op. Cit., Vol. III, The Daily Graphic, May 27, 1901.

(29) Blunt : My Diaries, Part II, March 16, Oct. 26, 1901, pp. 421, 428.

(30) Ibid, Oct. .26, 1901, p. 428.

(31) Ibid, May 25, 1901, 422.

(32) Ibid, Oct. 26, 1901, 428.

(33) F.O. 78, Op. Cit., Cromer — F.O, Cairo, May 20, 1901, No. 46.

(34) Ibid Cairo, May 23, 1901, No. 56.

(35) Ibid, Cairo, May 20, 1901, No. 46.

(36) Ibid, Cairo, May 23, 1901, No. 56.

(37) Ibid, Cromer — Governor Of Ceylon, Cairo, May 25, 1901, No. 48, Cromer — Lansdowne, Cairo, May 25, 1901, No. 48.

(38) Broadley : Op. Cit., Vol. III, No. 665.

(39) Blunt : My Diaries, Part II, Oct. 26, 1901.

(40) Broadley : Op. .Cit., Vol. III,

تقع أعمارهم بين الثالثة والثمانة والثلاثين .

(41) Ibid, Arabi — Broadley, Kandy, June 14, 1901, No. 660.

بالاضافة الى مرض الروماتيزم الذى كان يعانى منه عرابى ، فقد اصيب بضعف بصره .

(42) Ibid, Kandy, Sept. 3, 1901.

(43) F.O. 78, Op. Cit., F.O — Cairo, F.O, June 28, 1901, No 120, Cromer — F.O, Cairo, July 4, 1901, No. 81.

كان عرابى يصحطب زوجتيه وسبعا من أولاده وبناته وحفيدين .

(44) Broadley : Op. Cit., Vol. III, Ceylon Standard, Sept. 16, 1901.

مما يذكر أن منزل عرابى تحول فى عام ١٩٨١ الى متحف يقصـــده السـائحون .

(45) Ibid.

(٤٦) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٧٩ .

(47) Broadley : Op. Cit., Vol. .III, Ceylon Standard, Sept. 16, 1901.

أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، صص ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٧٠١ .

(٤٨) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، صص ٦٩٩ ، ٧٠٠ .

(٤٩) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤٢ ، ٢٨ ســـبتمبر ١٩٠١ ، المقطم ، عدد ١٣٨٠٤ فى ٣٠ سبتمبر ١٩٠١ .

(٥٠) المقطم ، العدد المذكور ،

Blunt : My Diaries, Part II, Oct. 26, 1901, p. 428.

مما يسجل أنه واصل التصريح بأنه مدين بالشكر للمسئولين البريطانيين خاصة ولى العهد وكرومر .

(51) Blunt : My Diaries, Part II, Oct. 24, 1901, p. 426.

(52) Broadley : Op. Cit., Vol. II,

خطاب من عرابى الى احمد رفعت — كان سكرتيرا لمجلس النظار فى عهد نظارة محمود سامى — فى ٨ جماد الآخر ١٣٠٠ (١٨٨٣) .

(53) Ibid, vol. III,

خطاب من عرابى لبرودلى فى ٢٢ ديسمبر ١٨٨٥ . لم يكن عرابى وحده الذى فترت عزيمته ووهنت قوته وذلت نفسه وانطبعت عليه سمة الخضوع ،

فنرى طلبة عصمت — على سبيل المثال — يكتب لبرودلى فى ١٧ مايو ١٨٨٣ يقول « ان ملكنا جميعا هو ملك جنابكم واننا جميعا عائلة واحدة » ،

Broadley : Op. Cit., Vol. II.

(٥٤) أحمد عرابى ، المصدر المذكور ، ص ٦٨٠ .

(55) F.O. 78, Op. Cit., Cromer — F.O., Cairo, Oct 1st, No. 129.

(56) Ibid, Rennel Rodd's Report, Oct. 5, 1901, No. 130.

يذكر بلنت فى يومياته أن العامة تبعوه ، وكان الفقراء يقبلون يـــده عندما يذهب للصلاة فى المسجد .

Blunt : My Diaries, Part II, Oct. 26, 1901, p. 426.

(57) F.O. 78, Op. Cit., Rennell Rodd's Report, Oct. 5, 1901, No. 130.

(58) Broadley : Op. Cit., Vol. III, Bath Herald, Oct. 5, 1911, No. 729.

(59) Blunt : My Diaries, Part, II, May 25, 1901, p. 422.

(٦٠) محافظ الثورة العرابية ، خطاب من عرابى للخديو فى ٢٢ ديسمبر ١٩٠٥ ، خطاب من عرابى الى رئيس الوزراء فى ٣١ أكتوبر ١٩٠٧ ،

Broadley : Op. Cit., Vol. III, Arabi — King Edward VII,

F.O. 371/451, F.O — Gorst, June 4, 1908, No. 135, Gorst — F.O, Cairo, May 10, 27, 1908, No. 18114, 18223.

الخاتمة

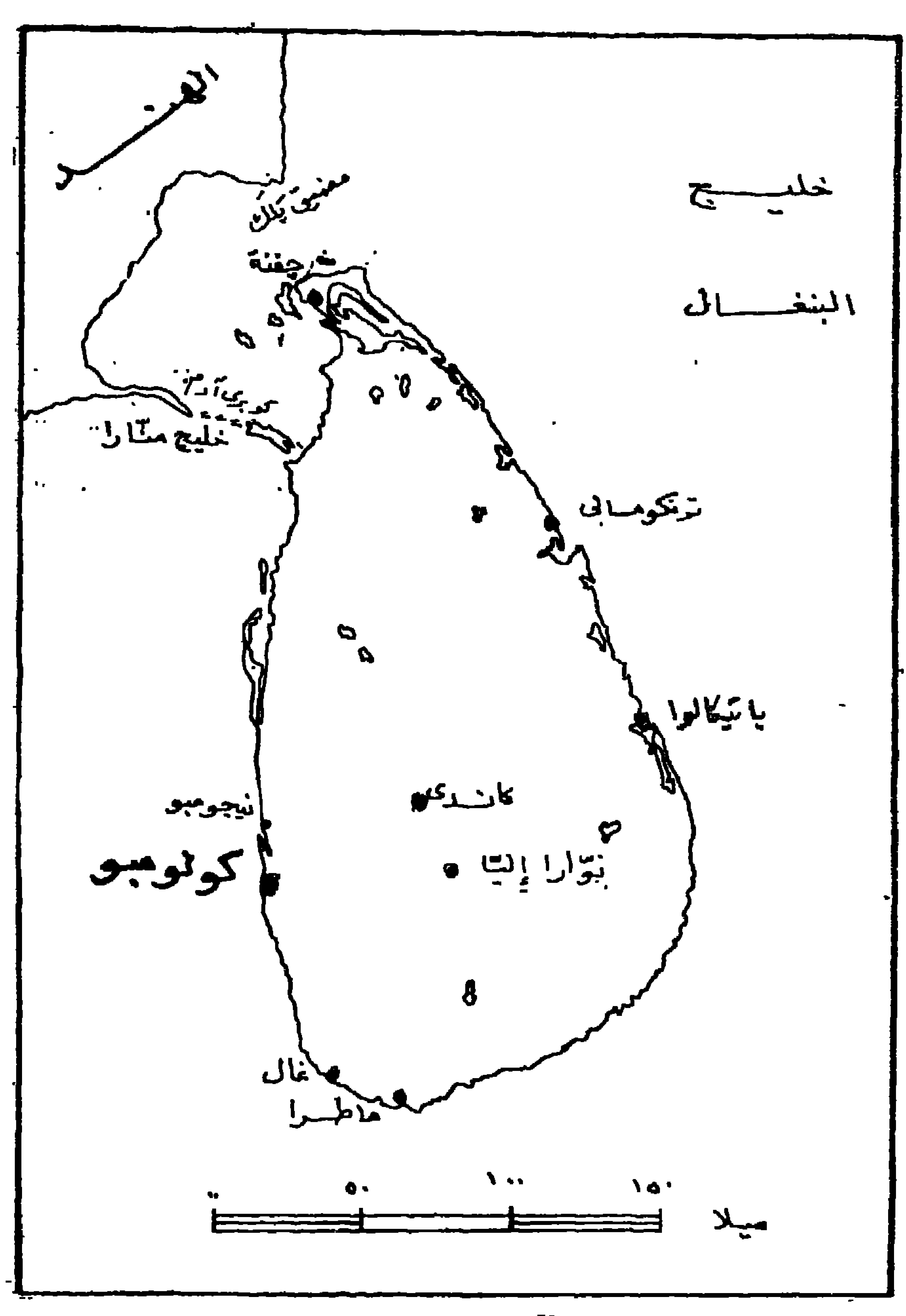
من خلال تتبع هذه السطور ، نتبين أن النهاية المؤلمة للثورة العرابية أطلقت العنان لبريطانيا التى نفذت مخططها للاستيلاء على مصر ، وبعد أن تحقق غرضها لعبت بمحاكمة الثوار وفقا لما تقتضيه مصلحتها ، ونفى عرابى ورفاقه فى احدى جزر مستعمراتها ، ووضح تدخلها قبل رحيلهم فى تسيير الأمور كيفما تشاء داخل مصر ، وتهيئة مناخ العزلة على الأرض الجديدة ، ولكنها لم تتمكن من تطبيق سياسة الحصار على المنفيين، فمنذ اللحظة الأولى لوصولهم تجسدت عواطف السيلانيين ــ خاصة المسلمون ــ تجاههم ، وهنا لابد من الاشارة دون تحيز بأن الاهتمام كان منصبا على عرابى الذى ارتبط هو الآخر بهم ، والواقع أنه نال شعبية كبيرة ، اذ سبقته الى جنة آدم وقفته وسيرته وبطولته وتحدياته ؛ وشدد المسئولون البريطانيون الرقابة بأنواعها على المنفيين ، فأصبحوا على دراية وبينة بجميع تحركاتهم . والواقع أن عرابى ورفاقه فى هذه الفترة اتسموا بصفات لم تكن فيهم قبل النفى ، فقد استسلموا للأمر الواقع ، ونفذوا ما هو مطلوب منهم ، وتملكهم اليأس ، فرحوا يسبحون بحمد بريطانيا ويثنون عليها ويشيدون بها منذ انقاذها لرقابهم ، ورأوا أن بيدها تحسين ظروفهم وخاصة المالية ، وتحقيق رغباتهم ونقلهم الى أماكن تتلاءم مع صحتهم العليلة ، كما أيقنوا أنها القادرة على الصفح عنهم وعودتهم الى وطنهم ، ومن هذا المنطلق جرت الاتصالات مع بعض من ظنوا أن بيدهم الحل والعقد فى لندن .

والحقيقة أن الظروف الصعبة التى عاشها المنفيون من احباط نتيجة فشل ثورتهم ، ومناخ أضربهم وأودى بحياة البعض منهم ، وضيق ذات اليد الذى انعكس على نفسيتهم وأثر فى تصرفاتهم ، كل ذلك ولد

الانشقاق بينهم وصدع ائتلافهم ، لكنهم جميعا اشتركوا فى التطلع لبارحة المكان ، وكادت الأقلام تجف من المظالم التى دونوها وبعثوا بها الى المسئولين ، وبالرغم من التحقق — سواء فى القاهرة أو لندن — من صحة ما جاء فيها ، الا أن السياسات لعبت بها عوامل متعددة ، فقد رفض كل من توفيق وعباس حلمى وحكومتيهما تحقيق أى مطلب للمنفيين والأسباب معروفة ، والمعتمد البريطانى كان هو الآخر يأبى بشدة اطلاق سراحهم وان تخلل هذا الخط بعض المنحنيات نتيجة لاعتبارات خاصة . والخارجية البريطانية مع سماعها لمطالبهم لم تتخذ موقفا حاسما ، فبينما تتعطف اتجاهم بهدف الاستئثار بهم وكسب صداقتهم ومحاولة منها لتجنب المعارضة فى البرلمان وخارجه خاصة عندما يسقط أحدهم ، فانها تسبح مع تيار الرفض أحيانا أخرى حينما تتغلب عليها سطوة السيطرة وتسلم الزمام لمثلها .

وبالرغم من صدور العفو عن اثنين من المنفيين نتيجة المساعى المكثفة ، كان الاصرار على استمرار عرابى فى المنفى ، مما يؤكد أن الخشية من عودته مثلت حاجزا قويا حال دون التحقيق ، ولم يعرج الموت عليه كما حدث مع ثلاثة من رفاقه ، وانما استمر يواصل محاولاته من أجل العودة ، وكان مؤمنا أن فتاح خلاصه فى لندن ، وهذا ما انتهى اليه أمره ، فصدر العفو له ولرفيقه على فهمى ، واتخذت الاحتياطات من أجل ألا تكون لعرابى قائمة فى مصر ، وساعدت الحركة الوطنية القائمة على ذلك ، ولم تثمر النتائج الأولى لهذه السياسة حيث كان لا يزال فى الوجدان ، هذا بالاضافة الى الاحساس بالرأفة التى غمرت الناس تجاهه لمعاناته وتحمله الغربة وتذوقه العذاب ، لكن مع السمة التى التصقت به منذ سفره فى تودده لبريطانيا ، وظهرت عليه واضحة عقب عودته ، تحولوا عنه مما أفقده الكثير .

وعلى أية حال فان سنوات النفى الطويلة قد قامت بدور ايجابى وفعال ازاء هؤلاء الرجال الذين سجل لهم التاريخ المواقف المشـــهودة أثناء ثورتهم ، والمواقف الضعيفة ابان تأديتهم للعقوبة التى فرضـــت عليهم ، ولكن يجب أن يوضع فى الاعتبار وجوب مراعاة الظروف الصعبة التى مروا بها ، وهى من القوة بحيث تمكنت منهم ، وفى نفس الوقت فانهم اذا كانوا واجهوها بالتكاتف والتعاون والموقف الموحـــد ورفض الاستسلام والتمسك بالمبادىء التى قاموا بثورتهم من أجلها ، لتغيرت الأوضاع ولأصبحوا فى عداد شهداء الوطنية .



جزيرة سيلان

(سري لانكا حاليا)

المصادر

أولا — الوثائق غير المنشورة :

(أ) العربيـــة :

١ — المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة .

● محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٤١ ، محفظة ٤٢ .

٢ — المحفوظة بالهيئة العامة للكتاب (قسم المخطوطات) .

● رسالة من عبد الله أفندى نديم الى صديقه أحمد عرابى باشا .

(ب) الأجنبية :

١ — المحفوظة بدار المحفوظات العامة بانجلترا .

Public Record Office, kew, Surrey, England.

1. F.O. 78, Turkey Egypt) Egyptian Exiles in Ceylon, Arabi and Companions :
   - Vol. 4267 (1882 - 1883).
   - Vol. 4268 (1884 — 1889).
   - Vol. 4589 (1890 — 1894).
   - Vol. 5176 (1895 — 1901).

ii F.O. 78, Turky (Egypt).

- Vol. 3589, Domestic Various (Jan, Feb. 1883).
- Vol. 4966, Diplomatic Various (July — Oct. 1898).

iii F.O 371, Egypt 1908 :

- Vol. 451.

٢ — المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة ٠

● الأرشيف النمساوى ، محفظة ١٤ ، محفظة ١٥ ٠

● مجموعة برودلى ٠

Broadley : The Trial, Exile and Pardon of Arabi Pacha (1882-1902), Vols. I, II, III,

وضمت كتابه الذى حمل عنوان :

How We Defended Arabi And His Friends.

ثانيا — الوثائق المنشورة :

خطابات منشورة بالكتب الآتية :

— Blunt, W.S. : I. Secret History of the English Occupation of Egypt, Second Edition, London, 1907.

II. Gordon At Khartoum, London, 1911.

— Chaillé-Long-Bey : Les trois prophètes : Le Mahdi-Gordon, Arabi, Paris, 1886.

— Ninet, J. : Arabi Pacha, Paris 1884.

ثالثا — المذكرات الشخصية :

(أ) المخطوطة :

● أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية عام ١٩٢٨ ، ١٢٩٩ هـ الموافق ١٨٨١ ، ١٨٨٢ م ، الجزء الثانى (محفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة) ٠

(ب) المنشورة :

— Blunt, W.S. : My Diaries (1888 — 1914), First Published in two Volumes 1919, 1920.

رابعا — الدوريات :

(أ) العربية :

- الأهرام ، ١٩٢٣ .
- المقطم ، ١٩٠١ .

(ب) الأجنبية :

— Bath Herald, 1911.

— Budport News, 1911.

— Ceylon Standard, 1901.

— The Daily Graphic, 1901.

— The Graphic, 1910.

— The out Look, 1911.

— Pall Mall Gazette, 1892.

— The Times of Ceylon, 1887.

المحتويات

صفحة

المقدمة ٥

الفصل الأول : الطريق الى المنفى ٩

الفصل الثانى : العلاقة مع بريطانيا ٢٩

الفصل الثالث : الحياة فى جنة آدم ٥٧

الفصل الرابع : الخــلاص ٩٣

الخـــاتمة ١١٥

الخريطـــة ١٢٠

المصـــادر ١٢١

مطبعة الجبلاوى
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٠٨ / ١٩٨٧

تعددت الدراسات الخاصة بالثورة العرابية ، وكان لمؤلفة هذا الكتاب مساهمة جادة نشرت منذ أعوام ، كما صدرت مؤلفات أخرى بمناسبة مرور مائة عام على تلك الثورة ، غير أن أحدا لم يهتم بالقاء الأضواء على حياة عرابى ورفاقه فى المنفى • وهذا الكتاب يقدم لأول مرة استنادا الى الوثائق البريطانية والمصرية رؤية لهذه الحياة ، ويصور أبعادها ، ويسجل المساعى التى بذلت للعودة الى أرض الوطن حتى جاء الخلاص •